Wasit University Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

آيَاتُ القِراءَةِ وَالتِلاوَةِ وَالتَرْتِيْلِ فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ

Verses of reading, recitation, and chanting in the Holy Quran: A semantic study

حسين, وداد محمود

إشراف: أ.د مجيد طارش عبد

جامعة واسط — 2026

https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/176

https://doi.org/10.31185/uowasit-20

حُمِّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ
كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيّة
جامعة واسط
قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميّة
الدراسات القرآنية

آياتُ القِراءَةِ وَالتِلاوَةِ وَالتَرْتِيْلِ فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ
دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ

رسالةٌ قدّمتها الطالبة

وداد محمود حسين

إلى مجلس كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيّة في جامعة واسط
وهي جزءٌ من متطلّبات نيل شهادة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلاميّة/الدراسات القرآنيّة

بإشراف الأستاذ الدكتور

مجيد طارش عبد الربيعيّ

١٤٤٧م ٢٠٢٦هـ

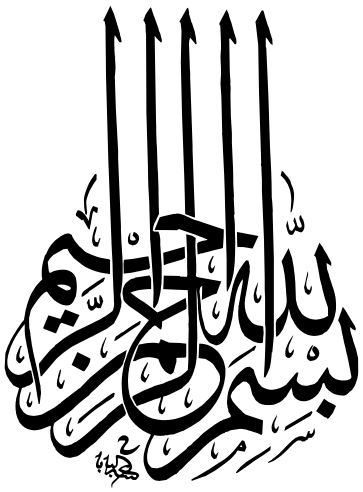

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾

(سورة العلق : الآيات: ١-٥)

إقرار المشرف

أشهدُ أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(آياتُ القِراءَةِ وَالتِلاوَةِ وَالتَرْتِيْلِ فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ)، التي تقدّمت بها الطالبة (وداد محمود حسين)، قد جرى بإشرافي في قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميّة في كلّيّة التربية للعلوم الإنسانية – جامعة واسط، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلاميّة – الدراسات القرآنيّة.

الإمضاء:

المشرف

أ.د. مجيد طارش عبد الربيعي

١٥/ ٣/ ٢٠٢٦

توصية رئيس قسم علوم القرآن والتّربية الإسلامية/ الدراسات القرآنية

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

الإمضاء:

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميّة

أ.م.د. عامر هاشم محمّد الدريعي

١٥ / ٣ / ٢٠٢٦

أ . م . د

عامر هاشم الدريعي

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الأسلامية

إقرار الخبير اللغويّ

أشهدُ أنّ هذه الرسالة الموسومة بـ(آياتُ القِراءةِ وَالتِلاوةِ وَالتَرْتِيْلِ فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ)، التي تقدّمت بها الطالبة (وداد محمود حسين)، قد راجعتها من الناحية اللغويّة، وأصبحت مكتوبة بأسلوب لغويّ سليم، خالٍ من الأخطاء اللغويّة.

الخبير اللغويّ:

الإمضاء:

أ . م . د

الاســـم: عامر هاشم الدريعي

الكـــلية: رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

٢٠٢٦/٢/٢٥

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها الموقّعون في أدناه: نشهد أننا أطّلعنا على الرسالة الموسومة بـ(آياتُ القِراءَةِ وَالتِلاوَةِ وَالتَرتِيلِ فِيْ القُرآنِ الكَرِيْمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ) التي أعدّتها الطالبة (وداد محمود حسين)، وقد ناقشناها فيما له علاقةٌ بها، فوجدناها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلاميّة/الدراسات القرآنيّة، بتقدير (جيد جداً عالٍ).

الإمضاء:

الاسم: أ.د قصي جواد محمد

رئيساً

٢٠٢٦/٨/٧

الإمضاء:

الاسم: أ.د علاء حسين خلف

عضواً

٢٠٢٦/٦/٧

الإمضاء:

الاسم: أ.د غازي مطشر حمزة

عضواً

٢٠٢٦/٦/٧

الإمضاء:

الاسم: أ.د مجيد طارش عبد

عضواً ومشرفاً

٢٠٢٦/٦/٧

مصادقة عمادة كلّيّة التّربية للعلوم الإنسانية/جامعة واسط

الإمضاء:

أ.د محمود حمود عَراك القريشيّ

عميد كلّيّة التربيّة للعلوم الإنسانية

١٥/٦/٢٠٢٦

الإهـــداء

إلى من وهباني الحياة، **والديَّ الحبيبين**، اللذَين غرسا فيَّ حب العلم، وغرسهما يثمر اليوم، رحمكما الله وأسكنكما فسيح جناته. آمين

إلى من أضاء دربي ببسمته، وارتقى إلى العلا بصدق إيمانه، **زوجي الشهيد**، رفيق الدرب، الذي علمني أن البذرة التي تُروى بالتضحيات، لا بُدّ أن تنبت عطاءً.

إلى زهرات حياتي وعماد مستقبلي، **بناتي الخمس**، نعمتي وسندي وذخر داري، أهديكن هذا الجهد، لتعلمن أن أمكن كانت تسهر لترسم لكُنّ بطريقتها عالماً يليق بكُنّ، وتحمل حُبّ من سبقكن إلى الرحيل، أنْتُنَ الأمل الذي تحقق، ووعودهم التي ستزهر.

إلى سندي وعوني في رحلة الحياة، **إخوتي وأخواتي وأولادهم جميعاً**، أهُدي هذا العمل المتواضع، راجيةً أن أكون خير خلف لخير سلف.

الباحثة

شكر وامتنان

الحمد لله معطي القُوةّ للضعيف، ومُيسّر الصعب على مَنْ توكل عليه، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَّمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

إنّ هذا العمل لم يكن لينجز ويرى النور لولا عون الله وفضله أولاً وآخرًا، وهذا العون والفضل قد أمدني به الله تعالى عن طريق من وقفوا خلفي سنداً كالجبل الراسخ، فإلى:

جناب **الأستاذ الدكتور مجيد طارش الربيعي**، مشرفي الفاضل، فإنّه قد كان أباً علميّاً كريماً، ناصحاً ومؤمناً بقدراتي في أصعب اللحظات، فلكَ مني كلّ الشكر والاعتراف بالجميل.

وأشكر كُلَّ مَنْ مدَّ لي يد العون أو ساندني بكلمة دعم في رحلتي الدراسّية، من **أساتذتي الأفاضل، وزملائي المحترمين**.

وأَخصُّ بالشكر عائلتي الكريمة: **(إخوتي، وأخواتي)** على وقفتهم الغالية، ولا سيما قلبي الذي ينبض خارج صدري: **(بناتي الحبيبات)**، شكراً لصبركن على غيابي، وانشغالي عنكن، أنتن السبب الأكبر في نجاحي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحتويات	الصفحة
العنوان	
الآية	أ
إقرار المشرف	ب
إقرار الخبير اللُّغوي	ت
إقرار لجنة المناقشة	ث
الإهداء	ج
شكر وامتنان	ح
المحتويات	خ – د
المقدمة	١–٥
الدراسات السابقة	٦–٩
التمهيد: مفاهيم البحث	١٠–٤٤
*الفصل الأول: الدلالة العقدية لآيات القراءة والتلاوة والترتيل	٤٥–٨٩
المبحث الأول: الدلالة على إثبات الوحي وصدق النبوة	٤٩–٧٠
المبحث الثاني: الدلالة على إعجاز القرآن والتحدي به	٧١–٨٩
*الفصل الثاني: الدلالة التربويّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل	٩٠– ١٣٥
المبحث الأوّل: الدلالة على تزكية النفس والوعي الإيماني	٩٣ – ١١٥
المبحث الثاني: التدبّر في بناء الفكر والتقويم السلوكيّ	١١٦–١٣٥

*الفصل الثالث: الدلالة التشريعيّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل	١٣٦-١٦٨
المبحث الأول: الدلالة التشريعيّة للترتيل والتلاوة في بناء الفرد وتنظيم العبادة	١٣٩-١٥٣
المبحث الثاني: الدلالة التشريعيّة للتلاوة والقراءة في بناء المجتمع وتماسكه	١٥٤-١٦٨
الخاتمة والتوصيات	١٦٩-١٧٣
المصادر	١٧٤-١٩١
العنوان باللغة الإنجليزية	a
الملخص باللغة الإنجليزية	b – c

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمة

الحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا شكره، وفتح لنا من أبواب علمه؛ حمداً تَقَرُّ به عيوننا إذا بَرِقَت الأبصار، والصلاة والسلام على البشير النذير الخُلُق العظيم مُحَمَّدٍ وآله الأطايِبِ الأطهار.

وبعد:

فإنّ القرآن الكريم يُعَدُّ الأساس في بناء الفرد والمجتمع؛ بوصفه المصدر الرَّئيس للهداية والتشريع والتربية عبر العصور، وذلك من آياته المباركات، وهذه الآيات تجسدت فيها الجوانب الأساسِيَّة لبناء الإنسان، وأَوَّل ما يحتاج إليه الإنسان لفهم هذه الآيات والإفادة من مضامينها السامية هو قراءتها قراءة صحيحة وتلاوتها بحسب ما وردت في القرآن الكريم ومثلما أراد منا الله تعالى أن نُرَتِّلَها ترتيلاً، ولقد تَنَوَّعَت الدراسات التي تناولت هذه الآيات وبأساليب بحثية مُختلِفة لما لها من دلالات واسعة وكثيرة؛ بوصف هذه الآيات تتجاوز حدود اللفظ إلى آفاق المعنى والتأثير، ومن بين الأمور التي استوقفت الباحثة في هذه الدراسة مسائل (القراءة والتلاوة والترتيل) لما تحمله هذه الآيات من دلالات عقدية وتربوية وتشريعية، انعكست على أسلوب تلقّي القرآن وفهمه والعمل به، وهذا الفهم لا يتمّ إلا بقراءة صحيحة وتلاوة لها بالعمل المطلوب بها، ومن هنا تبرز أهمية البحث في هذه الآيات؛ وبعد مناقشة مع

الأستاذ المشرف كان العنوان لهذه الدراسة **(آيات القراءة والتلاوة والترتيل في القرآن الكريم دراسة دلاليّة)**.

وفي هذا البحث سنعمل على إثبات أنّ ما ورد في آيات القراءة والتلاوة والترتيل ليس المراد منه فعل القراءة أو فعل التلاوة أو فعل الترتيل فقط؛ فهذه أفعال ننطقها فقط، بل إنّ المراد الأبعد والأعمق من هذه الآيات هو التعرف على مفاهيم تحمل في طياتها دلالات واسعة قد تكون عَقَدِيّة عميقة، أو تَرْبَوِيّة شاملة، أو تَشْرِيعِيّة تعمل على رسم حياة الإنسان المسلم وتنظيم المجتمع الإسلاميّ، فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى كشف المدلولات التي تنطوي تحت هذه الآيات التي تناولت هذه المفاهيم (القراءة والتلاوة والترتيل)؛ إذ إنّ الدلالة هنا تتجاوز المعنى اللُّغويّ المباشر إلى استنباط المضامين العقديّة التي تُؤسِّس للإيمان، والجوانب التربويّة التي تُهذِّب النفس وتُصلح الفكر وتبني المجتمع السليم، والأحكام التشريعيّة التي تنظّم العبادة وتُقوّي الأواصر التي تربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وإنّ دراسة دلالات هذه الآيات تُمثّل إسهامًا في فهم أعمق لما جاء به القرآن الكريم من أمور عقديّة وتربويّة وتشريعيّة، وإنّ الدراسة الشاملة الدالة التي تتتبع هذه المفاهيم في سياقاتها القرآنية المختلفة، وتستنبط منها هذه الأبعاد المتكاملة، تمثّل مطلبًا علميًّا نافعًا، وقد قُسِّمت جوانب من هذا الموضوع على دراسات موزّعة في ثنايا هذه الدراسة خاصّة،

كالتعريف اللُّغويّ والاصطلاحيّ لهذه المفاهيم، والحديث عن أهمية القراءة والتلاوة والترتيل، وبيان وجوه القراءة والتلاوة والترتيل.

وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء الإجابات المتعلقة بالتساؤلات التي تثيرها هذه المفاهيم في هذه الآيات، مثل: ما الدلالات العقديّة والتربويّة والتشريعيّة التي يمكن استنباطها من آيات القراءة والتلاوة والترتيل في القرآن الكريم؟ ويتفرع عن هذا السؤال إلى عدد من الأسئلة التي تتصل بتحديد تلك المفاهيم ذات الصلة، وحصر موضوعاتها في النصّ القرآنيّ، ثمّ تحليل سياقاتها المختلفة، من أجل الوصول إلى دلالاتها العميقة ومعانيها المقصودة.

وللوصول إلى أجوبة هذه التساؤلات؛ ابتدأت هذه الدراسة بالمنهج الاستقرائيّ التحليليّ، القائم على تتبّع آيات القراءة والتلاوة والترتيل (موضوع الدراسة) في جميع مواضعها القرآنيّة، ثمّ اعتمدت المنهج الدلاليّ لدراستها في سياقاتها المتنوّعة التي وردت فيها في النصّ القرآنيّ بحسب مواضيعها التي وردت من أجلها؛ وصولًا إلى الكشف عن العلاقات المعنويّة والإشارات المقصودة التي تحملها هذه الألفاظ في آياتها الخاصّة التي نزلت بها، وذلك عبر الخطوات الآتية:

١-جمع واستقراء الآيات القرآنيّة التي وردت فيها مشتقّات ألفاظ (القراءة، والتلاوة، والترتيل) ثمّ تحليلها لرصد ما يرتبط بها من دلالات قرآنيّة مرادة.

٢- استنتاج الأبعاد العقديّة والتربويّة والتشريعيّة عن طريق الربط بين هذه المفاهيم ومقاصد الشريعة وأصول الاعتقاد، مع الإفادة ممّا ورد في السنّة النبويّة وأقوال العلماء المعتبرين في تفسير هذه الآيات وبيان معانيها ومدلولاتها.

وبناءً على طبيعة الموضوع وأهدافه، جاء البحث في ثلاثة فصول، تسبقها هذه المقدمة وتمهيد، وتختتم بالخاتمة التي تتضمّن أبرز النتائج والتوصيات.

الفصل الأوّل: كان بعنوان **(الدلالة العقديّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل)**، واشتمل على مبحثين: المبحث الأوّل: الدلالة على إثبات الوحي وصدق النبوة، والمبحث الثاني: الدلالة على إعجاز القرآن والتحديّ به.

الفصل الثاني: فقد تناول **(الدلالة التربويّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل)**، وضمّ مبحثين: المبحث الأوّل: الدلالة على تزكية النفس والوعي الإيمانيّ، والمبحث الثاني: التدبّر في بناء الفكر والتقويم السلوكيّ.

الفصل الثالث: فقد تناول **(الدلالة التشريعيّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل)**، وضمّ مبحثين: المبحث الأوّل: الدلالة التشريعيّة للترتيل والتلاوة في بناء الفرد وتنظيم العبادة، والمبحث الثاني: الدلالة التشريعيّة للتلاوة والقراءة في بناء المجتمع وتماسكه.

الخاتمة: وقد اشتملت على ملخص لأهم النتائج والتوصيات.

وتسعى هذه الدراسة إلى الإسهام في إثراء الدراسات القرآنيّة ذات الطابع الدلاليّ عبر تخصيص دراسة مستقلّة لهذه المفاهيم الثلاثة، والكشف عن مضامينها

المعنويّة التي تساعد على تعميق فهم النصّ القرآنيّ، وتُسهم في إعادة بناء العلاقة العمليّة الواعية بين الفرد المسلم وكتاب الله ﷻ، وفق رؤية علميّة منهجيّة منضبطة.

ولا يسعني هنا إلا أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور "**مجيد طارش عبد الربيعي**"؛ مشرفي الفاضل، الذي كان لي أباً علمياً كريماً، وناصحاً أميناً، ومؤمناً بقدراتي في أصعب اللحظات، فلك مني كل الشكر والامتنان والاعتراف بالجميل.

وختاماً، نسأل الله ﷻ أن يوفقنا في هذا العمل إلى الصواب، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ونافعًا لعباده، إنّه سميع مجيب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

الدراسات السابقة:

١- "مصطلح الترتيل في القرآن الكريم: دراسة استعمالية"، عادل الوادي، مختبر العلوم الدينية والإنسانية وقضايا المجتمع فاس، المملكة المغربيّة. ٢٠٢٤م.

مقال علمي حديث يعالج مصطلح "الترتيل" حيث سعى الباحث في دراسته الكشف عن حقيقة مصطلح "الترتيل" في ضوء سياقاته القرآنية، مركزاً على تحليل الاستعمال لا على الجانب الصوتي، أي أنه اقتصر على مصطلح الترتيل دون المقارنة بينه وبين المصطلحات الثلاثة، ولم يتوسع البحث في الحقول الدلاليةّ المشتركة بين المصطلحات الثلاثة (قرأ، تلا، رتل) بينما يجمع بحثنا بين تلك المصطلحات الثلاثة في أطار دلاليّ تكامليّ.

٢- "مصطلح الترتيل تحرير وتأصيل: قراءة في المفهوم والمصطلح"، عيسى بن ناصر بن علي (مؤتمر المصطلح القرآني وأثره في تأصيل المعرفة وضبط الفهم، جامعة ابن زهر أغادير، ٢٠١٢ م).

بحث مؤتمر عُني بالجانب التأصيليّ لمفهوم الترتيل. ركّز الباحث على تحرير المصطلح وتأصيله ضمن المصطلحات القرآنيّة الكبرى، حيث غلبة الطابع النظري التأصيلي، وعدم بناء تعريف مستمد من مجموع السياقات القرآنيّة تحليلاً دقيقًا. يختلف عن بحثنا أنه يعتمد على التحليل الدلاليّ السياقي للآيات، لا مجرد التأصيل النظريّ. أما بحثنا يختلف عنه بأنّه، انتقال من التأصيل المجرد إلى تحليل الاستعمال القرآنيّ تفصيلاً، وربط المصطلح ببنية الخطاب القرآنيّ ووظيفته التربويّة والتشريعيّة والعقديّة.

٣- "الترتيل القرآنيّ مفهومه وأثره في اللُّغة دراسة صوتيّة تحليليّة ٢٠١١-٢٠١٢"، براءة نور الدين الصباغ (رسالة ماجستير في اللغة والنحو، قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢)

رسالة ماجستير، دراسة لُغويّة صوتيّة تطبيقيّة في حقل الأداء والتجويد. تلخصت في أنّها: تناولت الترتيل من زاوية الأداء الصوتيّ، وربطته بمخارج الحروف وصفاتها، وقواعد التجويد، مع دراسة تطبيقيّة (القلقلة نموذجًا). ونلاحظ أنّ الدراسة تناولت: حصر الترتيل في الجانب الصوتيّ، وعدم تحديد مفهومه القرآنيّ انطلاقًا من

مجموع الآيات، وغياب المقارنة الدقيقة بينه وبين القراءة والتلاوة. بينما بحثنا يتجاوز المستوى الصوتي إلى التحليل الدلالي والوظيفي للمصطلحات الثلاثة.

٤- "مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن الكريم"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، محمد منظور محمد رمضان، ٣٠(٢٠٠٤م)م ٦٢-١٣٢.

دراسة مقارنة بين ثلاثة مفاهيم قرآنية. المفاهيم هي التلاوة والترتيل والتدبر، مع التركيز على الالتزام بقواعد التجويد، وبيّن ارتباط الترتيل بطلب التدبر. ونجد فيها أنها: ركّزت على الجانب الصوتي والتعبدي. ولم تُبرز البعد البنائي والنظمي للقرآن في علاقة المفهوم بحياة الإنسان. بينما بحثنا يعالج المصطلحات الثلاثة ضمن رؤية دلالية شاملة، مع تصنيف موضوعي للآيات. الجديد في بحثنا تحليل المصطلحات ضمن نسقها القرآني ووظيفتها في بناء الوعي والسلوك.

٥- " مفهوم الترتيل في القرآن الكريم: النظرية والمنهج"، أحمد الأمين عبادي. (ط ١، الرباط: دار أبي رقراق ،٢٠٠٧ م).

كتاب نظري تأصيلي في مفهوم الترتيل. طرح نظرية في الترتيل تربطه ببنائية القرآن وعلاقته ببناء الكون والإنسان، مع مثال تطبيقي لبناء الإنسان الصالح.

برز فيها: الطابع الفكري الفلسفي ظاهر بوضوح. وغلبة الرؤية الكلية على التحليل الجزئي للنصوص. بينما بحثنا يركّز على التحليل الدلالي النصي التفصيلي للآيات. الجديد هو الموازنة بين التحليل اللغوي والسياقي دون الانطلاق من نظرية مسبقة شاملة.

٦- "الترتيل والتأويل ومقتضيات بناء الأنساق المعرفية"، أحمد الأمين عبادي، مجلة التأويل، ٠٢(٢٠١٥ :)١٧-٣٥.

دراسة فكرية تربط الترتيل بالتأويل وبناء المعرفة. تتلخص بأنها تناولت مستويات الترتيل الخمسة (الصوتي، اللفظي، المفاهيمي، المرجعي النسقي، التنزيلي)، وربطه بالتأويل كآلية لفهم النص. برز فيها توسّع تنظيري على حساب

التحليل النصي التفصيلي، وعدم استقراء شامل للآيات. بينما بحثنا ينطلق من النص القرآني مباشرة، لا من بناء نسقي معرفي مسبق.

٧- "**ضبط الترتيل وأثره في توثيق النص القرآني**"، **عدنان بن عبد الرزاق الحموي، العلبي، مجلة معالم القرآن والسنة جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ١٦(٢٠٢٠م) ٣٥-٥٢.**

دراسة في توثيق النص القرآني وعلاقته بالترتيل. تناولت هذه الدراسة أثر ضبط الترتيل في حفظ النص، مع الحديث عن مناهج التحفيظ والمدارس القرآنية. حيث تركيز على جانب التوثيق والرسم، ولم تُحلّل المصطلح في سياقاته القرآنية تحليلاً دلالياً. بحثنا لغوي دلالي، بينما هذه الدراسة تاريخية توثيقية تعليمية. الجديد في دراستنا تحرير المفهوم من خلال الاستعمال القرآني لا من خلال مدارس الأداء.

٨-"**ترتيل القرآن وعلاقته بالقراءة المفسرة: دراسة لأثر الترتيل في التفسير**"، **عبد الكريم محمد عبده شرف، مجلة العلوم الإسلامية، ٥ ،(٢٠٢٢ م):٦٦-٩٠.**

دراسة تربط الترتيل بالتفسير. بحث أثر الترتيل في فهم المعاني التفسيرية، وربطه بوضوح الدلالة. اهتمت هذه الدراسة بالبعد التفسيري أكثر من التحليل المصطلحي.

ولم تُبرز الفروق الدقيقة بين المصطلحات الثلاثة. بينما بحثنا يدرس المصطلحات الثلاثة دراسة دلالية مقارنة شاملة. الجديد هو صياغة تصور دلالي تكاملي يبيّن الفروق والاشتراك بين (قرأ، تلا، رتل) في ضوء السياق القرآني.

وبعد الاطلاع على هذه الدراسات تبيّن لنا أنّها قد اقتصرت على التلاوة فقط دون المقارنة المنهجية بينها وبين القراءة والترتيل، وقد ركزت بشكل أكبر على علم الأصوات أو التنغيم على حساب التلاوة، وقد اعتمدت على إطار نظري أساسي دون إجراء تحليل سياقي شامل للآيات نفسها.

وقد اقتصرت الدراسات السابقة القراءة والتلاوة والترتيل(كلٌّ على انفراد أو مجتمعات) على المصطلح وما يتعلّق به، أمّا هذه الرسالة فإنّ أهمّ ما يميّزها عن

سابقاتها من الدراسات أنّها لم تقتصر على المصطلحات ولا على المفاهيم فقط بل تناولت الآيات التي وردت فيها هذه المفاهيم والمصطلحات ومشتقاتها من منظور توثيقي أو تفسيري جديد، فكانت أوسع وأشمل، والجديد الذي سأتناوله في هذا البحث هو العلاقات الدلاليّة بين المصطلحات الثلاثة داخل النسق القرآني الواحد، وتحليل الفروق الفردية بينها، ومن أبرز ما تنفرد به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

١. تحرير المفهوم في ضوء السياق القرآني لا في ضوء علم التجويد فقط.

٢. دراسة المفاهيم الثلاثة جميعها في إطار شامل واحد.

٣. تصنيف الآيات موضوعيًّا وتحليلها من حيث خصائصها الدلاليّة.

٤. في مفهوم التلاوة دراسة قرآنية د. عبد الحميد عبد الله أحمد جامعة الجوف السعودية.

التمهيد

التمهيد

مفاهيم البحث

أولاً: مفهوم الآيات

ثانياً: مفهوم القراءة

ثالثاً: مفهوم التلاوة

رابعاً: مفهوم الترتيل

خامساً: مفهوم الدلالة

تُشكّل دراسة المفاهيم القرآنية مدخلاً منهجياً مهماً لفهم ما تنطوي عليه النصوص الشرعيّة من دلالات عقديّة وتربويّة وتشريعيّة؛ إذ إنّ الوقوف على الأبعاد الدلاليّة للألفاظ يُسهم في ضبط الاستنباط وتوجيه الفهم.

وفي هذا السياق، تبرز مفاهيم القراءة والتلاوة والترتيل بوصفها مفاهيم محوريّة في الخطاب القرآنيّ، لما تُمثّله من أنماط متدرّجة في التعامل مع النصّ القرآنيّ، تبدء من مجرّد الأداء اللفظيّ، وتتصاعد نحو الفهم الواعي والتدبّر والتأمّل المقصود في المعاني.

وانطلاقاً من أهمية تحديد المفاهيم بوصفها خطوة تأسيسيّة لا غنى عنها في أيّ بحث علميّ رصين، يأتي هذا التمهيد ليضع الإطار الدلاليّ العامّ للمصطلحات الرئيسة التي يقوم عليها البحث، من خلال ضبط مفاهيمه وبيان معانيها اللغويّة وحدودها الاستعماليّة، تمهيداً لتحليلها في سياقاتها القرآنيّة، واستكشاف ما تحمله من أبعاد دلاليّة تسهم في تحقيق أهداف هذه الرسالة.

أولاً: مفهوم الآيات:

الآيات في اللُّغة: يدور المعنى الأساس للفظ الآية حول مفهوم العلامة الظاهرة والدليل البيّن، وقد تنوّعت طرائق اللغويين في تتبّع أصل اللفظ واشتقاقه؛ فقد ذهب الخليل بن أحمد الفراهيديّ(ت١٧٠هـ) إلى "أنّ الألف في كلمة آيَة كما في آيَة

القرآن هي في أصلها ياء"[١]، أي إنّها منقلبة عن ياء، وهو ما يدلّ على أنّ الكلمة ترجع في أصلها إلى الجذر (أيّ)، وفي الاتّجاه نفسه ذهب ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، فقال في معجمه: "أنّ الهمزة والياء والهاء فهو حرفٌ واحد، يقال أَيَّهَ تَأْيِيهاً إذا صَوَّتَ"[٢] مشيرًا إلى أنّ مادّتها تدلّ على الصوت والإبانة، وهو ما ينسجم مع وظيفة الآية في الإظهار والدلالة، أما الراغب الأصفهانيّ(ت٥٠٢هـ) فقال: "اشتقاق الآية إمّا من: أيّ، فإنّها هي التي تبيّن أيّا من أيّ، أو من قولهم: أوى إليه، والصحيح أنّها مشتقّة من التأيّي الذي هو التثبّت والإقامة على الشيء وملازمته"[٣]، ونلاحظ هنا أنّ الأصفهانيّ يرجّح أنّ الأصل الاشتقاقيّ للفظ يعود إلى معنى التأيّي، الذي يفيد التثبّت والملازمة والاستقرار، وهو معنى ينسجم مع رسوخ دلالة الآية ووضوحها.

ويكشف هذا التعدّد في توجيه الاشتقاق عن سعة أفق الدرس اللغويّ العربيّ وعمق معالجته لتأصيل الألفاظ، إذ تتكامل المقاربات الصوتيّة والصرفيّة والدلاليّة في الكشف عن حقيقة أصل اللفظ، وعلى الرغم من تباين المسالك التي سلكها العلماء في تفسير أصل كلمة الآية، فإنّها تلتقي جميعًا عند دلالتها الجوهريّة بوصفها علامة ظاهرة وحجّة واضحة، الأمر الذي يؤكد وحدة المفهوم الدلاليّ للكلمة، وتكامل الرؤى العلميّة في بنائه.

---

[١] كتاب العين، للفراهيدي: ٤٤١/٨، مادة (آية).

[٢] مقاييس اللغة، لإبن فارس: ١٦٧/١، مادة (آية).

[٣] المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ١٠١-١٠٢، مادة (أي).

الآية في الاصطلاح: لقد تنوّعت التعريفات الاصطلاحيّة لمفهوم الآية باختلاف الجوانب المعرفية التي تناولها العلماء، إلا أنّ القاسم المشترك بينها يتمثّل في انطلاقها من المعنى اللغويّ الأصليّ للآية بوصفها علامةً ظاهرةً دالّة، ثمّ توسيع هذا المعنى ليتلاءم مع خصوصيّة الاستعمال القرآنيّ.

وفي هذا السياق, يقدّم الكفويّ*(ت١٠٩٤هـ) تعريفًا يبرّز البعد الدلاليّ والوظيفيّ لمصطلح الآية، إذ يربط بين أصله اللغويّ ووظيفته في البيان، فيقول عن الآية: "هِيَ فِي الأَصْل الْعَلامَة الظَّاهِرَة، واشتقاقها من (أَي) لِأَنَّهَا تبيّن (أيا) عَن (أَي)، وتستعمل فِي المحسوسات والمعقولات"[١]، ويُفهم من هذا التعريف أنّ الكفويّ ينظر إلى الآية على أنّها وسيلة إيضاح وكشف، سواء في المجال الحسّيّ أو المجال العقليّ، وهو ما ينسجم مع وظيفة الآية القرآنيّة في الإرشاد والهداية وإقامة الحجّة.

أما التهانويّ*(ت١١٥٨هـ)، فيتّجه في تعريفه وجهةً أكثر ضبطًا من حيث البنية والشكل، فيعرّف الآية بقوله: "الآية طائفة من حروف القرآن عُلِمَ بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أوّل القرآن وعن الكلام الذي في آخر القرآن، وعمّا قبلها وما بعدها في غيرها، غير مشتمل على مثل ذلك"[٢]، ويُفصّل هذا التعريف عناصر الآية بوصفها جزءًا محدَّدًا من النص القرآنيّ، فهي طائفة من

---

[١] الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي: ٢١٩-٢٢٠.

*التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي :باحث هندي، له كشاف اصطلاحات الفنون وسبق الغايات في نسق الآيات . الأعلام: خير الدين الزركلي، ٢٩٥/٦

[٢] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي: ٧٦/١.

حروف القرآن؛ أي: وحدة نصّيّة متميّزة، ومعلومة بالتوقيف، أي إنّها ثابتة بتحديد توقيفي لا مجال فيه للاجتهاد البشريّ، كما أنّها منقطعة المعنى عمّا يحيط بها من الكلام في مواضعها المختلفة، ويؤكّد التهانويّ هذا التميّز بإضافته قيد (غير مشتمل على مثل ذلك)، مبيّنًا أنّ هذا القيد يُخرج السورة من التعريف؛ إذ إنّ السورة تشتمل على الآيات، بخلاف الآية التي لا تشتمل على آية أخرى.

ومن الملاحظ في تعريف كلٍّ من الكفويّ والتهانويّ أنّهما يقدّمان مسارَين متكاملين في ضبط مفهوم الآية اصطلاحًا؛ إذ يجمع الكفويّ بين الأصل اللغويّ والدلالة الوظيفيّة للآية، في حين يركّز التهانويّ على الخصائص البنيويّة والضوابط الشكليّة التي تُميّز الآية داخل البناء القرآنيّ، ويبقى العامل المشترك بينهما هو التأكيد على التوقيف أساسًا في تحديد الآيات وفواصلها، الأمر الذي يعكس الطبيعة الإلهيّة لتنظيم النصّ القرآنيّ، ويؤكّد أنّ هذا التقسيم ليس نتاج اجتهاد بشريّ.

إذن يمكن القول: إنّ الآية في الاصطلاح القرآني بما قرّره الكفويّ والتهانويّ تُمثّل وحدة نصّيّة مستقلّة محدّدة، تتميّز بوضوح الدلالة وخصوصيّة البنية، وتؤدّي عملًا أساساً ومهمّاً في تحقيق مقاصد الخطاب القرآنيّ.

ثانياً: مفهوم القراءة:

القراءة في اللغة: إنّ أصل لفظ القراءة في اللغة العربيّة يعود إلى الفعل الثلاثيّ (قرأ)، وهو فعل يدلّ على الجمع والضمّ، الأمر الذي يعكس عمق الجذر اللغويّ

وأصالته في الاستعمال العربيّ، ويُعدّ هذا الأصل الدلاليّ مدخلًا لفهم الامتدادات المعنويّة اللاحقة للفظ في سياقات متنوّعة.

وقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيديّ، إلى سعة استعمال هذا الفعل، إذ قال: "وقَرَأْتُ القرآن عن ظهرِ قَلْبٍ، أو نَظَرْتُ فِيهِ، هكذا يُقال، ولا يقال قرأت إلا ما نظرت منْ شعر أو حديث"[١]، ويدلّ هذا النصّ على أنّ القراءة تشمل الحفظ عن ظهر قلب، كما تشمل القراءة بالنظر، وهو ما يُبرّز شمول المفهوم وعدم اقتصاره على صورة واحدة من صور الأداء.

ويؤكد ابن فارس هذا الأصل اللغويّ حين يقرّر أنّ: "القاف والراء والحرف المعتلّ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمعٍ واجتماعٍ"[٢]، فهو يربط بوضوح بين مفهوم القراءة وبين عمليّة ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض، بما يُفضي إلى تكوين المعنى.

كما توسّع الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ) في بيان الدلالات المتنوّعة للفعل، فذكر صِيَغه المختلفة واستعمالاتها، بقوله: "قَرَأْتُ الكِتَابَ وَاِقْتَرَأْتُهُ، وَأَقْرَأْتُهُ غَيْرِي، وهو من قَرَأَةِ الكِتَابَ"[٣]، وتكشف هذه الصيغ عن تنوّع في الدلالة الوظيفيّة للفعل؛ فإنّ قَرَأْتُ الكتابَ؛ تدلّ على مباشرة القراءة، واِقْتَرَأْتُهُ؛ تشير إلى القراءة المتأنّية المصحوبة بالتدبّر والفهم، أما أَقْرَأْتُ غَيْرِي؛ فإنّها تفيد معنى التعليم ونقل القراءة إلى الآخر.

---

[١] كتاب العين، للفراهيدي: ٢٠٤/٥-٢٠٥، مادة (قرأ).

[٢] مقاييس اللغة، لأبن فارس: ٧٨/٥، مادة (قرأ).

[٣] أساس البلاغة، للزمخشري: ٦٣/٢، مادة (قرأ).

وفي السياق نفسه ورد في معجم اللغة العربيّة المعاصرة أنّ القراءة مأخوذة من الفعل قرأ بمعنى: "تَتَبَّعَ كَلِماتِهِ نَظَرًا، نَطَقَ بِها"[١]، وهذا المعنى يجمع بين البعد البصريّ المتمثّل في تتبّع النصّ، والبعد الأدائيّ الذي يقوم على النطق، سواء أكان سرّاً أو جهراً، وهذا يعكس شمول العمليّة القرائيّة لمستويين متكاملين.

وممّا سبق يتبيّن أنّ مفهوم القراءة في أصل استعماله اللغويّ يقوم على معنى الجمع والضمّ، ثمّ تطوّر ليشمل جملةً من التطبيقات العمليّة، مثل الحفظ، والنظر، والأداء، والتعليم، وبذلك لا يقتصر مفهوم القراءة على مجرّد النطق بالألفاظ، بل يتّسع ليكون أداةً أساسيّةً في فهم العلوم، ونقل المعارف، وبناء الأحكام.

القراءة في الاصطلاح: تنوّعت التعريفات الاصطلاحيّة لمفهوم القراءة تبعًا لاختلاف الجوانب العلميّة والوظيفيّة التي انطلق منها العلماء في تحديد هذا المصطلح، وهو ما يعكس ثراء المفهوم وتعدّد أبعاده في التراث الإسلاميّ.

فقد شددّ الكفويّ في تعريفه على البنية المنهجيّة للقراءة، إذ عرّفها بأنّها: "ضمّ الحروف والكلمات بعْضها إلى بعضٍ في الترْتيل"[٢]، وهذا يعني أنّ القراءة عمليّة مرتّبة تقوم على ترتيب الوحدات اللُّغويّة وربط بعضها ببعض وفق نظام متكاملٍ، وليس مجرّد النطق أو الجمع غير المقصود للألفاظ.

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ٧٨٩/٣: مادة (قرأ).

[٢] الكليات، الكفوي: ٧٠٢.

ويضيف التهانويّ بُعدًا أدائيًّا وتعليميًّا على تعريف مصطلح القراءة، موضّحًا أنّ القراءة عند أهل الاختصاص هي: "أن يقرأَ القرآنَ؛ سواءً كانت القراءة تلاوةً بأن يقرأ متتابعا أو أداءً"[1]، وهذا يدلّ على أنّ القراءة عمليّة تتجاوز الجانب النظريّ بل تشمل كيفيّة التلقّي وضبط الأداء.

أما القنوجيّ(ت١٣٠٧هـ) فقد عرّف القراءة بأنّها: "علم يبحث فيه عن صور ونظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواترة"[2]، وهو تعريف ينقل القراءة من مجرّد وصفها فعلًا لغويًّا إلى وصفها علمًا قائمًا بذاته، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلوم اللغة العربيّة وأصولها وقواعدها، ويعالج الكيفيّات المتنوعّة لقراءة ألفاظ القرآن الكريم كما وردت متواترة، ويُفهم من ذلك أنّ القنوجيّ يشير إلى المعنى الاصطلاحيّ الخاصّ للقراءة، وهو ما عُرف لاحقًا بعلم القراءات، الذي نشأ نتيجة لنزول القرآن الكريم وتعدّد أوجه أدائه.

وفي السياق نفسه، جاء إطلاق لفظ القرآن على القراءة في قول مرتضى الحسينيّ (١٢٠٥هـ) إذ قال: "قرأ: **(القُرْآن)** هُوَ **(التنزيلُ)** العزيزُ، أي: المَقرُوء المكْتوب فِي المصاحف، وإنّما قُدِّم على ما هُو أَبْسط مِنْه لشرفه"[3]، وهو بيان يوضّح علوّ منزلة القراءة القرآنيّة، وخصوصيّة هذا المقروء الذي تميّز بالشرف والقداسة، فاستحقّ أن يُقدَّم ويُفرَد بالاعتبار دون غيره.

---

[1] كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ١٣١٢/٢ .

[2] أبجد العلوم، القِنَّوجي : ٤٧٣.

[3] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي: ٣٦٣/١، مادة (قرأ).

ومن مجموع هذه التعريفات يتّضح أنّ القراءة في الاصطلاح تجمع بين البعد اللُّغويّ، والبعد الأدائيّ، والبعد العلميّ، وتتدرّج بوصفها فعلًا لُغويًّا منظّمًا، لأنها علمًا مستقلًّا له أصوله وضوابطه، مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالنصّ القرآنيّ وطرائق تلّقيه وأدائه.

معنى القراءة في القرآن الكريم:

إنّ لفظ "القرآن" ورد في كتاب الله بصيغ متنوّعة، كلّ صيغة تحمل دلالة سياقيّة تثري المعنى، فقد ورد (قرآنًا) منونًّا في سياق الامتنان بإنزاله، كقوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾[١]، وورد "قرآنَ" مضافًا في سياقات خاصة، كقوله تعالى: ﴿ **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾[٢]، إشارة إلى القراءة في وقت الفجر، وورد "قرآنًا عربيًّا" لبيان صفته ووضوحه، كما في قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[٣]. وبما "أنّ مهمة القرآن الكريم دينيّة اعتقاديّة"[٤]، فإن الآيات القرآنيّة التي تحمل هذه الألفاظ ليست مجرّد تعدّد صوريّ، بل هي تأكيد على أنّ القرآن نصّ حيّ، يتنزّل بمنهجيّة في التلقّي، ويُتلى بآداب، ويُرتّل لتحقيق الغاية من إنزاله: التدبر والاتباع. وهذا ما تؤسّس

---

[١] سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

[٢] سورة الإسراء: الآية ٧٨.

[٣] سورة فصلت: الآية ٣.

[٤])التفسير العلمي وضوابطه عند المفسرين، د. ثائر محمود عبيد، الجامعة العراقية ، د. علاء حسين خلف، جامعة واسط، كلية التربية ، مجلة كلية التربية، العدد الثالث والعشرون،: ٧.

له الآية الكريمة: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه**﴾[١]، حيث تجمع بين فعل القراءة (التلقّي) ووجوب الاتّباع (العمل)، لترسم المنهج الأمثل في التعامل مع كلام الله تعالى.

إنّ المعنى الأوليّ الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع لفظة (القراءة) هو النطق بالحروف، وهذا هو المعنى الأساس الذي يراد من القراءة في القرآن الكريم، فإنّ قراءة القرآن الكريم هي نطق حروفه نطقًا صحيحًا مثلما أنزلت وبحسب ضوابط اللغة العربية، وهذا هو المعنى العامّ لقراءة القرآن الكريم على الرغم من اختلاف تسميات طريقة القراءة، قال كاشف الغطاء(ت١٣٦١هـ): معنى القراءة في القرآن الكريم " الإتيان بالحروف على النحو المألوف والنطق بالكلمات على نحو ما صُنِعَت عليها من الهيئات فلا عبرة بأحاديث النفس ولا بالصوت الخارج من الفم"[٢] وهذه القراءة الخاصّة للقرآن الكريم إنّما هي امتداد للتوجيه العامّ بالقراءة الذي ورد في القرآن الكريم، عندما ابتدأ نزوله بأمر القراءة، "لقد أفصح الخطاب القرآنيّ عن حقيقة ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[٣] كشَفَ فيها كيفَ أنَّ البشريَّة، ابتداءً، اهتدت إلى أن ترسم لنفسها منهجاً قائماً على القراءة، ثم فسَّر طرائق كمالها في إنسانيّتها على قاعدة فعلٍ معرفيٍّ تكوينيّ شرع أصوله مبادئ في مقولة كُلِّيّة: ﴿**اقْرَأْ**﴾"[٤]، فقد أبان القرآن الكريم أنّ انطلاقة الإنسان في بناء وعيه وتشكيل حضارته ارتبطت بفعل معرفيّ أصيل،

---

[١] سورة القيامة: الآية ١٨.

[٢]الهادي، لكاشف الغطاء: ١/١١٢.

[٣] سورة الشعراء: الآية ١٩٥.

[٤] من صفات الباحث إلى شروط المفسر، مقاربة منهجية في أُصول البحث العلميّ ومحصِلات عِصمت النَّظر في الخطاب القرآني مُقدِّمة أولى: أ. د. عماد جَبار كاظم داود، جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية: ٣ .

اتّخذ من القراءة منطلقًا ومنهجًا، وهو ما تجلّى بوضوح في الأمر الإلهيّ الجامع الذي افتُتحت به الرسالة: ﴿اقْرَأْ﴾، بوصفه قاعدة كلّيّة تؤسّس لفهم الوجود والارتقاء بالإنسان في إنسانيّته.

ويمثّل الوقوف على الدلالات اللُّغوية للجذر (قرأ) في الاستعمال القرآنيّ خطوةً منهجيّةً أساسيّة لفهم حقيقة مفهوم القراءة في النصّ القرآنيّ.

وقد أشار علماء اللغة الأوائل إلى السعة الدلاليّة لهذا الجذر، ومنهم أبو بكر السجستانيّ (ت٣٣٠هـ)؛ إذ بيّن أنّ لفظ القرآن قد يُستعمَل بوصفه مصدرًا من الفعل قَرَأَ، بمعنى القراءة نفسها، مستدلًّا على ذلك بالاستعمال العربيّ، وبقوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾[١]، أي ما يُقرَأ في صلاة الفجر، وهو ما يدلّ على أنّ تسمية القرآن جاءت بوصفه مقروءًا ومتعبّدًا بتلاوته، ويُفهَم من كلامه أنّ المصدريّة هنا ليست مجرّد اشتقاقٍ لغويٍّ، بل تحمل بعدًا وظيفيًّا مرتبطًا بالفعل التعبّدي[٢].

وفي السياق نفسه، يوسّع الراغب الأصفهانيّ دائرة الدلالة، فيعرض في مفرداته جملةً من الاستعمالات المتفرعة عن الجذر (قرأ)، فيربط بين القراءة وبين معاني الفهم، والتعليم، والمدارسة، فهو يفسّر قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾ بمعنى قراءته، ويشير إلى استعمالات أخرى للجذر، منها الإقراء والتعليم، والتقرّؤ بمعنى

---

[١] سورة الإسراء: الآية ٧٨.

[٢] ينظر: غريب القران، السجستاني: ٣٨١.

التفهّم، والمقارءة بمعنى المدارسة، ويكشف هذا التعدّد الدلاليّ عن انتقال المفهوم من مجرّد الأداء الصوتيّ إلى مستويات أعمق تتّصل بالإدراك العقليّ والتفاعل العلميّ[١].

ويؤكّد الاستقراء النصّيّ للقرآن الكريم هذا الثراء الدلاليّ، إذ يظهر أنّ الجذر (قرأ) ورد بمشتقّات متنوعّة، بلغت عشر صيغ صرفيّة، توزّعت على سبعة عشر موضعًا في القرآن الكريم، وفق ما أثبته المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمّد فؤاد عبد الباقي*(ت١٣٨٨هـ)، وقد تنوّعت هذه الصيغ بين صيغ الأمر، والأفعال الماضية والمضارعة، والمصادر، الأمر الذي يعكس تعدّد وظائف القراءة في الخطاب القرآنيّ، وتنوّع مجالات حضورها بين التكليف الفرديّ، والإخبار، والوصف، والعبادة[٢]

ومن خلال هذا التتبّع اللغويّ والاستقراء الاشتقاقيّ، يتبيّن أنّ القراءة في السياق القرآنيّ لا تُختزَل بوصفها فعلًا لفظيًّا مجرّدًا، بل تتجلّى بوصفها منظومة متكاملة تجمع بين التلاوة التعبّديّة، والفهم المعرفيّ، والتفاعل التعليميّ والاجتماعيّ.

---

[١] ينظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ٦٦٩.

[٢] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القران . محمد فؤاد عبد الباقي : ٥٣٩-٥٤٠

* محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد: عالم بتنسيق الأحاديث النبوية ووضع الفهارس لها ولآيات القرآن الكريم. مصري الأبوين، ولد في قرية بالقليوبية، ونشأ في القاهرة، ودرس في بعض مدارسها ثم عمل مترجما عن الفرنسية في البنك الزراعي (١٩٠٥ – ١٩٣٣) وانقطع إلى التأليف. وضعف بصره إلى أن كف، قبيل وفاته. وتوفي بالقاهرة. كتاب الأعلام، خير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ): ٣٣٣/٦.

ويؤسس هذا الاتّساع الدلاليّ لفهم القراءة على أنّها حجر الزاوية في البناء العقديّ والتربويّ في الإسلام، حيث تتكامل فيها الحركة اللسانيّة مع النشاط العقليّ والتأثير الروحيّ.

وجوه القراءة:

قال مصطفى صادق الرافعيّ*: "منذ بدأت القراءةُ تتميّز بأنّها علم يُتدارَس ويُتلقّى، بدأت فيها الصناعة العلميّة؛ فحُصِرت وجوهها وعُيِّنت مذاهبها؛ ومن شأن كلّ علم أن يكون ضبطُ الصحيح فيه حدًّا لغير الصحيح"[١]، وقد تجلّت هذه الوجوه في مستويات مختلفة من البناء اللفظيّ والدلاليّ، ومن أبرز هذه المستويات النسق البيانيّ الذي تميّز به القرآن الكريم، وما انطوى عليه من جمال في الترتيب والتناسق، الأمر الذي جعله وجهًا ظاهرًا من وجوه الإعجاز التي عجز العرب عن الإتيان بمثلها، وقد عبّر بعض العلماء عن هذا المعنى بقولهم: "إنّ من يقرأ القرآن يرى أنّ وجوه إعجازه التي تحدى بها العرب كثيرة، ولعلّ في نسقه البيانيّ وجمال ترتيبه وجهًا من وجوه الإعجاز"[٢].

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ٤١.

* مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي: عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم) بمنزل والد أمه (ووفاته في طنطا) بمصر (أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. شعره نقيّ الديباجة، على جفاف في أكثره. ونثره من الطراز الأول. الأعلام: خير الدين الزركاني: ٢٣٥/٧.

[٢] بلاغة الترتيب بين السور القرآنية عند الطبرسي في تفسير مجمع البيان، م. د. رياض خلف خزي المرشدي، جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية: ٢٩.

ومع تطوّر العناية بالقراءة، لم تعد مجرّد ممارسة فرديّة، بل غدت علمًا قائمًا على التلقّي والدراسة، له أصوله وضوابطه، ومع نشوء هذا الطابع العلميّ، ظهرت الحاجة إلى ضبط وجوه القراءة وتمييز صحيحها من غيره، شأنها في ذلك شأن سائر العلوم التي لا يستقيم أمرها إلا بوضع القواعد والمعايير، ولا ينفصل هذا التعدد في وجوه القراءة عن طبيعة الخطاب القرآنيّ ذاته، الذي نزل مشتملًا على أنماط متنوعة من الأساليب والمقاصد، تخاطب العقل والوجدان معًا، وقد ورد في الروايات ما يؤكّد هذا التنوّع الدلاليّ لا والأسلوبيّ، ومن هذه الروايات ما رُوِي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "**إنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كلّ قسم منها كافٍ شافٍ، وهي أمرٌ وزجرٌ وترغيبٌ وترهيبٌ وجدلٌ ومثلٌ وقصصٌ**"[1]، وهذا يدلّ على اتّساع أفق القراءة القرآنية وتعدّد أبعادها، بما يجعل القراءة فعلًا واعيًا لا يقتصر على مجرد النطق بالألفاظ، بل يمتدّ ليشمل فهم البناء العامّ للنصّ القرآنيّ، واستيعاب ما يتضمّنه من توجيه وتشريع وتأسيس معرفي. وقال البحراني: "**عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:إِنَّ الْأَحَادِيثَ تَخْتَلِفُ عَنْكُمْ؟ قَالَ: فَقَالَ: «إِنَّ القرآن نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَأَدْنَى [مَا] لِلْإِمَامِ أَنْ يُفْتِيَ عَلَى سَبْعَةِ**

---

[1] الحديث مروي بألفاظ متقاربة تلتقي في ذات المضمون عند الفريقين، انظر بلفظه: الطبري، جامع البيان، ١/ ٦٩، والمجلسي، بحار الأنوار الجامع لدرر الأئمة الأطهار: ٤/٩٣. وأخرجه بلفظ ("سبعة أحرف...") ودلالات مطابقة من الكتب الأربعة والصحاح: الكليني، الكافي، ٢/ ٦٣٠، والبخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري
كتاب فضائل القرآن، ٦/١٠٠، الحديث رقم: (٤٩٩١).

وُجُوهٍ ثُمَّ قَالَ: هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ»"[1]، ومن هذا المنطلق، تُعدّ وجوه القراءة من المفاتيح الأساسيّة لفهم الإعجاز القرآني، إذ تبرز المكانة المحوريّة للقراءة في الكشف عن معانيه واستحضار مقاصده الكلّيّة.

أهمّيّة القراءة:

قال السيّد الخوئي (ت١٤١٣هـ): "القرآن هو الناموس الإلهيّ الذي تكفّل للناس بإصلاح الدين والدنيا، وضمن لهم سعادة الآخرة والأولى، فكلّ آية من آياته منبع فيّاض بالهداية ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة، فالذي تروقه السعادة الخالدة والنجاح في مسالك الدين والدنيا؛ عليه أن يتعاهد كتاب الله العزيز آناء الليل وأطراف النهار، ويجعل آياته الكريمة قيد ذاكرته، ومزاج تفكيره، ليسير على ضوء الذكر الحكيم إلى نجاح غير منصرم وتجارة لن تبور"[2]، "تمثل القراءة في الرؤية القرآنية ركيزةً أساسية في بناء العقل الإنساني، وقد تجلّى ذلك في افتتاح الوحي بكلمة "اقرأ" لتأكيد أن النهضة تبدأ بالعلم والمعرفة. فهي المفتاح الأول للعلم، والعلم نور يهدي الإنسان في دينه ودنياه. وقد ربطت آيات سورة العلق بين القراءة والتعليم والخلق، لتشير إلى أن العلم فطرة إنسانية وضرورة شرعية. وفي واقعنا المعاصر، ما

---

[1] الكافي، محمد بن يعقوب الكليني: ٢/ ٦٣٠، ح ٢. وأصل الحديث تفصيلاً في نزول القرآن على سبعة أحرف متفق عليه؛ انظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، [كتاب الخصومات] باب كلام الخصوم بعضهم في بعض حديث: هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف: الحديث رقم: (٢٤١٩): ٢/ ٤٢٠، وينظر: البرهان في تفسير القرآن، البحراني ، الحديث رقم (١٥٤): ٤٧/١. وينظر: تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، الحديث رقم: (١٨٨١): ٤٦٩/٧.

[2] البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ١/ ٢٤-٢٥.

زال ضعف الإقبال على القراءة يهدد بانتشار الجهل، في حين أنّ القراءة توسّع المدارك، وتبني فكراً متسامحاً، وتعزز التعايش"[١].

ثالثاً: مفهوم التلاوة:

التلاوة في اللغة: إنّ مصطلح التلاوة في أصله اللغويّ يرجع إلى الفعل تَلا، المنحدر من الجذر (تلو) الذي تدور دلالته حول معنى الاتّباع والتتابع، ويكشف الأصل اللُّغويّ عن طبيعة التلاوة بوصفها عمليّة تقوم على التعاقب والترتيب، لا مجرد النطق، قال الخليل بن أحمد الفراهيديّ: "تَلاَ فلانٌ القرآن يَتلُو تِلاوةٌ، وتَلاَ الشيءَ: تَبِعَه تُلُوًّا"[٢]، ويدلّ هذا النصّ على أنّ التلاوة تجمع بين أداء القرآن على وجه مخصوص، وبين معنى الاتّباع والسير خلف الشيء.

وأكّد ابن فارس وحدة الدلالة الأصليّة لهذا الجذر، مبيّنًا أنّ معناه لا يخرج عن الاتّباع، إذ قال: " التاء واللام والواو أصل واحد، وهو الإتباع، يقال: تلوته إذا تبعته ، ومنه تلاوة القرآن، لأنه يتبع آية بعد آية "[٣]، وهذا تقرير صريح بأنّ تلاوة القرآن قائمة على تتبّع الآيات في نسق متّصل ومنظَّم، وتابعه الزمخشريّ مؤكّداً هذا المعنى؛ بقول: "تَلَوتُ القرآنَ، والقرآنُ خيرُ مَتْلُوٍّ"[٤]، بمعنى أنّ التلاوة تمثّل ممارسة

---

[١] ينظر : اهمية القراءة والمطالعة (مقال) ، م. د. اكرم نايف محمد ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة ديالى.

[٢] كتاب العين، للفراهيدي: ١٣٤/٨، مادة (تلو).

[٣] مقاييس اللغة، لأبن فارس: ٣٥١/١ ، مادة (تلو).

[٤] أساس البلاغة، للزمخشري: ٩٦/١، مادة (تلو).

فعليّة لمعنى الاتّباع، وكذلك ابن منظور(ت٧١١هـ) الذي قال: "وتلوته تلواً، تبعته"[١]، وهو ما يعزّز استمرار معنى الاتّباع والتعاقب في مختلف اشتقاقات الجذر.

وتنسجم هذه المعاني مع ما أورده معجم اللغة العربيّة المعاصرة في تعريفه للفعل تَلا، حيث جاء فيه: "تَلا فُلانًا: تَبِعَهُ"؛ مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا**﴾[٢]؛ حيث جاء معنى (تَلاها) بمعنى تَبِعَها، وجاءَ بعدها، مؤكّداً بذلك الدلالة الأصليّة[٣]، فإنّ الفعل هنا جاء للدلالة على مجيء القمر تابعًا للشمس، ومن هذا العرض اللغويّ المتدرّج، يتبيّن أنّ مفهوم التلاوة يحافظ على دلالته المحوريّة المتمثّلة في الاتّباع والتتابع.

التلاوة في الاصطلاح: يُستعمَل مصطلح التلاوة في الاصطلاح الشرعيّ للدلالة على نمط مخصوص من قراءة القرآن الكريم، لا يقتصر على مجرّد النطق بالألفاظ، بل يقوم على التتابع والانتظام، ويقترن بالتدبّر والفهم، وينتهي إلى الامتثال العمليّ لما يتضمّنه النصّ القرآنيّ، وبهذا المعنى، تتجاوز التلاوة بوصفها فعلًا صوتيًّا إلى وصفها ممارسة تعبّديّة ذات بُعد تربويّ ومنهجيّ، تشبه من حيث التنظيم نظام التعليم أو الالتزام بالورد اليوميّ الثابت.

---

[١] لسان العرب، لأبن منظور: ١٠٢/١٤، مادة (تلا).

[٢] سورة الشمس: الآية ٢,

[٣] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٢٩٩/١، مادة (تلو).

وقد عبّر الكفوي عن هذا المعنى بوضوح حين عرّف التلاوة بقوله: "هِيَ قِرَاءَة القرآن متتابعةً، كالدراسة والأوراد الموظّفة"[1]، إذ يُبرز هذا التعريف الطابع المنتظَم للتلاوة، ويؤكّد اقترانها بالمواظبة والالتزام، على نحو يجعلها ممارسة مقصودة لا عارضة.

وتعريف التهانوي يعزز البعد النظاميّ والتربويّ، إذ يقول: "قراءة القرآن متتابعًا كالأوراد والأسباع والدراسة"[2]، وقوله هذا يؤكد على الجوانب العمليّة المصاحبة للتلاوة، من حيث الاستمرار، والتدرّج في الإنجاز، والبعد المعرفيّ القائم على الفهم والدراسة.

وبهذا الوصف، تغدو التلاوة عبادة شاملة، تتكامل فيها قراءة اللسان، وتدبر الجَنان، وعمل الأركان، وهو ما يُبرز مكانتها بوصفها منهجًا متكاملًا في التعامل مع النصّ القرآنيّ، يجمع بين حسن الأداء، وعمق الفهم، وتحقيق الأثر السلوكيّ والعمليّ في حياة المسلم.

معنى التلاوة في القرآن:

يتّضح معنى التلاوة في الخطاب القرآنيّ من ارتباطها الوثيق ببنية النصّ القرآنيّ ووظيفته التربويّة والإيمانيّة، إذ لا تُفهَم بوصفها فعلًا صوتيًّا مجرّدًا، بل بوصفها ممارسة واعية تتفاعل مع مضمون الوحي ومعانيه، ويظهر هذا المعنى بجلاء في

---

[1] الكليات، للكفوي: ٣٠٨.

[2] كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي: ٥٠٥/١

تفسير الآيات التي تناولت طبيعة القرآن وأثره في المتلقّي، فقد بيّن الطوسيّ(ت٤٦٠هـ) عند تفسير قوله تعالى: "﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾[1] يعني القرآن "كتابا متشابها" نصب (كتابا) على البدل من قوله (أحسن) ومعناه "متشابها" في الحِكَم التي فيه من الحجج والمواعظ والأحكام التي يعمل عليها في الدين وصلاح التدبير يشبه بعضه بعضا لا تناقض فيه "مثاني" أي يثنّى فيه الحكم والوعد والوعيد بتصريفها في ضروب البيان، ويثنّى أيضًا في التلاوة فلا يملّ لحسن مسموعه في القرآن "تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم" أي: تقشعرّ جلود المؤمنين الذين يخافون عذاب الله لما يسمعونه فيه من الوعيد "ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله" وما ضمّنه الله على ذلك من الثواب"[2]، ويتكامل هذا المعنى مع ما قرّره الراغب الأصفهانيّ في تحديده لمفهوم التلاوة، إذ عرّفها بقوله: "القِرَاءَة مَعَ تَدَبُّرِ الْمَعْنَى"[3]، وهو تعريف يكشف عن أنّ التلاوة في أصلها القرآنيّ لا تنفصل عن التدبّر، بل تقوم عليه، فتجمع بين الأداء الظاهر والتفاعل الباطن مع المعنى.

وأكّد المجلسيّ(ت١١١٠هـ) هذا البعد الخاصّ للتلاوة بملاحظته كثرة استعمال هذا المصطلح في قراءة القرآن وسائر الكتب المنزّلة، مشيرًا إلى أنّ الخطاب القرآنيّ غالبًا ما يعبّر عن تبليغ الوحي بالفعل يَتلُو، لا بالفعل يَقْرَأ، لما تحمله التلاوة من دلالة أعمق تتجاوز مجرّد الإلقاء اللفظيّ، وهو ما يظهر حتّى في المواضع التي

---

[1] سورة الزمر: الآية ٢٣.

[2] التبيان في تفسير القرآن، للطوسي: ٢١/٩.

[3] المفردات في غريب القران، للأصفهاني: ١٦٧.

خُصّص فيها فعل القراءة بدلالة مخصوصة، فقد قال: "كثر استعمال التلاوة في قراءة القرآن وسائر الكتب المنزّلة"[١].

ومن جهة الأثر العمليّ، يربط الشيرازيّ التلاوة بغايتها المقصودة، حين يقرّر أنّ فضلها الحقيقيّ إنّما يتحقّق حين تكون مدخلًا للتفكّر، ومقدّمة تؤدّي إلى العمل، فقد قال الشيرازيّ: "فضيلة التلاوة أن يكون مقدّمة للتفكّر، أن يؤدي التفكّر إلى العمل"[٢].

ومن هذه الأقوال المتكاملة، يتّضح أنّ التلاوة في القرآن الكريم تمثّل مسارًا متدرّجًا يبدأ بالأداء، ويمرّ بالتدبر، وينتهي إلى الامتثال العمليّ، بما يجعلها عنصرًا أساسيًّا في بناء العلاقة الحيّة بين الإنسان والقرآن، علاقة تقوم على التأثّر والفهم والعمل، لا على التلاوة اللسانيّة المجرّدة.

وقد ورد لفظ (تلا) ومشتقاته في القرآن الكريم عشرين مرّة بصيغ مختلفة في ثلاث وستين آية[٣]، وهذا يعكس ثراء الدلالة التي يحملها هذا المفهوم، والتي تتجاوز مجرّد النطق إلى حقل معنويّ أوسع.

---

[١] بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧٩ /٢٠٦.

[٢] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ٧/٢٠.

[٣] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي: ١٥٥-١٥٦.

وجوه التلاوة:

هناك وجوه للتلاوة تكشف لنا كيفيّة التعامل مع النصوص القرآنيّة، ومن تلك الوجوه:

١. وجه القراءة والتعليم: وهو المعنى الأساس الظاهر، ويقصد به قراءة الكلمات القرآنيّة وتلاوتها، يُشير ابن عباس(رضي الله عنه) (ت٦٨هـ) إلى أنّ التلاوة تعني القراءة، مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[١]، أي: تقرؤون الكتاب عليهم"[٢]، ويؤيّد الطبريّ(ت٣١٠هـ) هذا بتفسيره قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾[٣] بأنّها "آيةُ القرّاءِ"[٤]، أي يقرؤون كتاب الله بتمعّن وتدبّر.

٢. وجه العمل والتطبيق: وهو الوجه الذي يجسّد الغاية العليا من التلاوة، حيث تكون القراءة وسيلة للفهم والعمل، ويتجلّى هذا في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**﴾[٥]، فقد فسّر مجاهد(ت١٠٤هـ) التلاوة بأنّها: "يعملون به حقّ عمله"[٦]، وهذا يعني أنّ تلاوة القرآن الكريم الحقيقيّة ليست مجرّد قراءة الألفاظ بل تشمل فهم المعاني والعمل بما فيه من أحكام شرعيّة ومن أوامر ونواهٍ، وبالإضافة

---

[١] سورة البقرة: الآية ٤٤.

[٢] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : جمعه الفيروز آبادي: ٨.

[٣] سورة فاطر : الآية ٢٩.

[٤] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، ٣٦٦/١٩. وينظر: وجوه القرآن الكريم: ابن عبد الرحمان إسماعيل بن احمد النيسابوري: ٨٠

[٥] سورة البقرة: الآية ١٢١.

[٦] تفسير مجاهد بن جبر : ٢١٢.

إلى الالتزام بتعاليمه في الحياة، وأكدّ ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) هذا الوجه بقوله "أنّ التلاوة تشمل العمل"[١]، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**﴾[٢].

٣. وجه الإنزال والوحي: حيث تستعمل التلاوة بمعنى إنزال القرآن وإبلاغه، كما في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[٣]، فيُعرّف الدمغانيّ (ت٤٧٨هـ) هذه التلاوة بالإنزال، أي: "ننزّلها عليك"[٤].

٤. وجه الاتّباع والتأسِّي: وهو المعنى اللغوي الأصيل الذي تفرّعت عنه سائر المعاني، ويقصد به التتبّع والاقتفاء، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا**﴾[٥]، أي: تبعها وجاء بعدها، وقد أشار الكرباسي(ت١٣٩٩هـ) إلى ذلك مِنْ أنّ التلاوة هنا تعني "التتبّع أو الاتّباع"[٦].

٥. وجه الرواية والنقل: ويقصد به رواية القصص أو الأخبار ونقلها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾[٧]، وقد أشار ابن الجوزي إلى هذا المعنى "الرواية أو الكتابة أي ما تروي الجنّ عهد ملكه"[٨].

---

[١] نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنواظر، ابن الجوزي: ٢٢٢.

[٢] سورة البقرة: الآية ١٢١.

[٣] سورة البقرة: الآية ٢٥٢.

[٤] قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، الدمغاني: ٨٨.

[٥] سورة الشمس: الآية ٢.

[٦] الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ، للكرباسي: ١٥/٢.

[٧] سورة البقرة: الآية ١٠٢.

[٨] زوائد أبن الجوزي على مقاتل في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ،رسالة ماجستير ،إعداد : فهد إبراهيم بن عبد الله الضالع. جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الأصول، قسم القرآن وعلومه, (الكتاب الكتروني)، ١١٧.

أهمية التلاوة:

تلاوة القرآن الكريم من أسمى العبادات التي يتقرّب بها العبد إلى ربّه، وهي غذاء للروح وهداية للقلب، فقد جعل الله عزّ وجلّ للتالي كتابه أجراً عظيماً، قال السيّد محمّد تقي المدرسي: "لقد أُنزِل الوحي قرآناً فَيُسمَع وكتاباً فَيُقرَأ، وكانت تلاوة الكتاب من قِبَل النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلم– ذات أهمّيّة، لأنّها أظهرت الحروف والوقفات، وحفظتها القلوب الواعية عبر تواصل القرون"[١].

وممّا يدل على أهمّيّة التلاوة ولا سيّما في مجال العبادة "أنّ الصلاة لا تصحّ إلّا بقراءة آيات من القرآن، ولا يغني عنه شيء من الأذكار والدعاء"[٢]، ولقد أبرز أهمية التلاوة كاشف الغطاء في رسالته بعدد من النقاط:

١. "أنّ لتلاوة القرآن أهمّيّة كبيرة في صقل المواهب وتهذيب النفوس وتوسيع المدارك الفكريّة. (وهذا يدلّ على الأهمّيّة التربويّة والنفسيّة التي تتجاوز الإطار العباديّ).

٢. أهمّيّة إبراز حقّ الحرف أثناء التلاوة، وابتعاداً عن اللحن ظاهراً كان أو خفيًّا. (وهذا يدلّ على وجوب مراعاة الدقّة الصوتيّة وأهمّيّتها والالتزام بالأداء ضمن النطق السليم).

---

[١] فقه الاستنباط دراسات في مبادئ علم الأصول ، السيد محمد تقي المدرسي: ١٩١/١.

[٢] الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب: ٢٣

٣. متابعة أحكام التلاوة، والحثّ عليها وتعلّمها حفظاً على أصالة اللغة العربيّة والقرآن الكريم، وتمجيداً لكتاب الله تعالى. (وهذا يدلّ على أهمّيّة أحكام التلاوة وتعلّمها).

٤. إبراز العلاقة المتينة بين اللغة العربيّة والتجويد والتأكيد على أصالة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. (يعني وحدة المصير بين للعلاقة الجذريّة بين اللغة العربيّة والتجويد).

٥. إبراز قوّة الرابطة بين هذه الأحكام والحروف العربيّة من حيث الإدغام والمدّ والوقف والابتداء وهمزتي الوصل والقطع ... إلى آخره.

٦. التأكيد على الفوارق الأساسيّة بين مخرج الحرف وصوته بشكل مسهب ومبسَّط. (بمعنى الفهم الدقيق للأداء عند التلاوة)" [١].

رابعاً: مفهوم الترتيل:

الترتيل في اللغة: يرتبط مفهوم الترتيل في أصل دلالته بالجذر اللُّغويّ (رَتَّلَ)، وهو جذر يحمل أبعادًا مختلفة في استعمالاته اللغويّة والاصطلاحيّة، وقد أشار إلى ذلك الخليل بن أحمد الفراهيديّ بقوله: "الرَتْل: تنسيق الشيء، ورَتَّلْتُ الكلامَ تَرتِيلاً؛ إذا أَمْهَلْتُ فِيهِ وأحسَنْتُ تأْلِيفَهُ"[٢]، وهو ما يدلّ على عناية المتكلّم أو القارئ بترتيب الألفاظ وحسن أدائها، ويُستفاد من هذا التعريف الجمع بين عنصرين متلازمين:

---

[١] رسالة في التجويد، كاشف الغطاء، الشيخ هادي: ٦/١.

[٢] كتاب العين، للفراهيدي: ٨ /١١٣، مادة (رتل).

انتظام البنية اللُّغويّة، والتؤدة في الأداء بما يحقّق الإتقان، وفي السياق نفسه، يؤكّد الراغب الأصفهانيّ أنّ الترتيل يقوم على اتّساق الشيء واستقامته، بقوله: الرَّتَلُ: اتّساق الشيء وانتظامه على استقامة، إرسال الكلمة من الفهم بسهولة واستقامة"[1]، فاللفظ المُرَتَّل لا يقتصر على حسن النطق، بل يمتدّ أثره إلى صفاء الدلالة وسلاسة التلقّي، أمّا الزمخشريّ، فقد خصّص هذا المفهوم بتلاوة القرآن الكريم، فربط الترتيل بالترسّل في القراءة وإحسان تأليف الحروف؛ فقال: ﴿**رَتِّلِ القرآن تَرتِيْلًا**﴾؛ "إذا ترسّل في تلاوته وأحسن تأليف حروفه"[2]، وهو بهذا يجمع بين التمهّل وجودة الأداء الصوتيّ، وهو توجيه ينسجم مع خصوصيّة النصّ القرآنيّ ومتطلبات تلقّيه، ويضيف ابن منظور بُعداً آخر، إذ يجمع في تعريفه بين حسن التناسق، والإبانة، والتمهّل، فقال: "الرَّتَل: حسُن تناسق الشيء، ورَتَّلَ كَلامَه: أحسَنَ تأْلِيفَهُ وأَبانَهُ وتَمَهَّلَ فيه"[3]، ليؤكّد بذلك أنّ الترتيل لا يتحقّق إلّا باجتماع هذه العناصر، بما يُنتج قراءة واضحة، متقنة، ومؤثّرة.

وفي المعاجم اللُّغويّة الحديثة، يستمر هذا الاتّجاه الدلاليّ للجذر (رتل)، الذي يجعل الترتيل مرتبطاً بالتجويد بإتقان التلاوة وتحسين أدائها، مع مراعاة عدم العجلة،

---

[1] المفردات في غريب القران، للراغب الأصفهاني: ٣٤١، مادة (رتل) .

[2] أساس البلاغة، للزمخشري: ٣٣٦/١، مادة (رتل).

[3] لسان العرب، لابن منظور: ٢٥٥/١١، مادة (رتل).

فقد جاء في معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة: "رَتَّلَ القارئُ القُرآنَ: جَوَّدَ تِلاوَتَهُ، وتَأَنَّقَ فيها، ولم يَعْجَل ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً** ﴾[1]، رَتَّلَ الكَلامَ: أَحْسَنَ تَأْلِيفَهُ وجَوَّدَهُ"[2]، وكل هذه النصوص تتناول معنى (رَتَّلَ) واستعمالاته، ويمثّل الترتيل المستوى الأعلى في أداء القرآن الكريم، لأنّه يجمع بين الإتقان والأثر الروحيّ، ممّا يجعله منهجاً متكاملاً للتلاوة.

وبهذا فإنّ الترتيل في اللغة يدلّ على تنظيم الكلام وتنسيقه، مع التأنّي في أدائه، وإيضاح الحروف، ويُفهَم من ذلك أنّ الترتيل يمثّل مرتبة عليا في الأداء، وبخاصة في تلاوة القرآن الكريم، حيث يجمع الإتقان الصوتيّ مع الأثر الروحيّ، حتّى يشكّل منهجاً متكاملاً في القراءة.

الترتيل في الاصطلاح: يُستعمل الترتيل في الاصطلاح للدلالة على المنهج المنضبط في تلاوة القرآن الكريم، وهو منهج يقوم على الجمع بين سلامة الأداء الصوتيّ، ودقّة النطق، وحسن تحسين الصوت، بما يحقّق وضوح المعنى ويُعين على الفهم والتأثّر، فلا يقتصر الترتيل على الجانب الصوتيّ المجرد، بل يتجاوز ذلك ليغدو أسلوباً متكاملاً في تلقي النصّ القرآني وأدائه.

قدّم الشريف الجرجانيّ(ت٨١٦هـ) تعريفاً جامعاً للترتيل، إذ عرّف الترتيل بأنّه "رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف، وقيل: هو خفض الصوت والتحزين بالقراءة،

---

[1] سورة المزمل: الآية ٤.

[2] معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر: ٨٥٥/٢.

والترتيل: رعاية الولاء بين الحروف المركّبة"[1]، ويكشف هذا التعريف عن أبعاد متنوعّة للترتيل، يمكن إجمالها في ثلاثة مرتكزات رئيسة: أوّلها الإحكام، وذلك بالعناية بمخارج الحروف وصفاتها، مع ضبط أحكام التجويد ممّا يؤدّي إلى سلامة التلاوة، وثانيها التناسق، ويتّضح ذلك عند مراعاة التجانس الصوتيّ بين الحروف والكلمات، وما يتّصل بذلك من الوقف والابتداء عند التلاوة، أمّا المرتكز الثالث فهو الأثر والتأثير، ويظهر في خفض الصوت والتحزين، وهو بعد يضفي على التلاوة السكينة التي تؤثّر في القارئ والسامع معاً.

ويؤكّد أبو البقاء الكفويّ الغاية من هذا الإتقان، في تفسيره للأمر الإلهيّ بالترتيل، إذ يقول: ﴿**رَتِّلِ الْقُرْآنَ**﴾: اقرأه على تؤدة وتبيين حُرُوف بِحَيْثُ يتَمَكَّن السَّامع من عدّها"[2]، ويتّضح أنّ الترتيل هو طريق يهدف إلى تحقيق أعلى درجات البيان الواضح في التلاوة، بحيث يتمكّن السامع من الإحاطة بالحروف وصفاتها التي تميّزها، وهو ما يُعدّ أساساً لفهم المعنى القرآنيّ فهماً صحيحاً ودقيقاً، كما يجمع التهانويّ بين الجوانب العمليّة والأدائيّة للترتيل، فيقول: "والترتيل عند القرّاء هو التمهّل في القراءة، رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف والأوصال والآي والمدّ، وقيل: هو خفض الصوت والتحزين بالقراءة وتحسين الصوت"[3]، ويلاحَظ أنّ هذا التعريف يربط الترتيل بجملة من الآليّات التطبيقيّة، تشمل التمهّل، والالتزام بأحكام

---

[1] التعريفات ، للجرجاني : ٥٥ .

[2] الكليات ، للكفوي ٤٥٨.

[3] كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ٤١٤/١.

التجويد والوقف، إلى جانب العناية بجمال الصوت والتحزين، ممّا يؤكد شمول مفهوم الترتيل للجوانب الفنيّة والروحيّة معاً.

وبناءً على ما تقدّم، يمكن ضبط مفهوم الترتيل في الاصطلاح بأنّه: الأسلوب الأمثل في تلاوة القرآن الكريم، القائم على التمهل وعدم العجلة، مع إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، واستيفاء صفاتها وأحكامها، ومراعاة الوقف والابتداء، وتحسين الصوت وتنغيمه بالتحزين، على نحو يُوصل المعنى ويبعث على التدبّر والتأثّر، وعليه، فإنّ الترتيل يمثّل التطبيق العمليّ المتقن للأمر الإلهيّ، ويجسّد أعلى مراتب التلاوة القرآنيّة، حيث تُقرأ الآيات قراءة واعية تُعقَل معانيها، وتُفهَم مقاصدها، ويظهر أثرها في القلب والسلوك.

معنى الترتيل في القرآن:

يُعدّ مفهوم الترتيل من المفاهيم الأساسية في بيان منهج التلاوة القرآنيّة، وقد ورد التصريح به في قوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلًا**﴾[1]، وهي آية تحمل توجيهًا إلهيًّا مباشرًا للنبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، وتمتدّ دلالتها التشريعيّة والأدائيّة إلى الأمّة من بعده، بوصف الترتيل منهجًا مقصودًا في أداء النصّ القرآنيّ، لا مجرّد هيئة صوتيّة عارضة.

وقد تناول العلماء مفهوم الترتيل بالشرح والتفسير، مركّزين على أبعاده الأدائيّة واللغويّة، فذهب السجستانيّ، إلى بيان الغاية الوظيفيّة للترتيل، فجعلها هي الإحكام

[1] سورة المزمل: الآية ٤.

والوضوح، إذ قال: "إنّ الترتيل في القراءة: "التبيين لها، كأنه تفصيل بين الحرف والحرف"[١]، ومن هذا القول يظهر الترتيل بأنّه عملية الضبط الدقيقة للبنية الصوتيّة عند ترتيل القرآن الكريم، حيث تقوم على التمييز بين الحروف، ووضع كلّ صوت في موضعه الذي يليق به.

ويؤكّد عبد السلام هارون (ت١٠٤٨هـ) هذا المعنى من ناحية الإتقان والجودة، إذ يربط الترتيل بحسن التأليف وجودة الأداء، مبيّنًا أنّ المقصود به: "أَحسِنْ تَأليفَهُ وجَوِّدْ قِراءَتَهُ، ورَتَّلَ: أحسَنَ مخارجَ الحروفِ، تَرتِيلًا؛ أي: تجويداً وتحسيناً"[٢]، ويدلّ ذلك على أنّ الترتيل ليس مجرّد التأنّي في القراءة، بل هو التزام بالضوابط الصحيحة عند التلاوة التي تكفل سلامة اللفظ والمعنى.

وذهب الكرباسيّ إلى أنّ الترتيل يقوم على التبيين المقترن بالتؤدة، إذ عرّفه بأنّه: "هو التبين على تؤدة: أي لا يكون في التلاوة إسراع ممّا يجعل الحروف تدخل بعضها ببعض، ورَتَّلَ الكلامَ: أَحسنَ تأليفَهُ، أو أَبانَهُ، أو تَمهَّلَ في قراءتِهِ، ورَتَّلَ القرآنَ: تأنَّى بتلاوتِهِ"[٣]، وهو تعريف يبرز عنصر التمهّل بوصفه شرطًا أساسيًّا لصيانة الحروف من التداخل أو الإخلال بمخارجها.

وممّا تقدّم يتّضح أنّ الترتيل في القرآن الكريم مفهوم مركّب، يتجاوز الفهم السطحي الذي يحصره في البطء الزمنيّ، ليكون منهجًا متكاملًا يقوم على جملة من

---

[١] غريب القران، السجستاني: ٢٤٢.

[٢] الوجيز لألفاظ القرآن الكريم، عبد السلام هارون: ٣٧٣ .

[٣] الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء، محمد جعفر ابراهيم الكرباسي: ٢١/٣.

القواعد، أهمها: التأنّي في التلاوة، وبيان النطق مع إحكام المخارج والصفات، وتجنب الإسراع الذي يؤدّي إلى تداخل الحروف أو التباس في المعنى، وتجميل الصوت بما يعين على التدبّر والخشوع.

وبهذا يتحقّق الفهم العميق للنصّ القرآنيّ، ليتمكّن المتلقّي من تدبّر معاني القرآن، وبذلك يغدو الترتيل الأسلوب الأمثل في أداء القرآن الكريم.

وجوه الترتيل:

تتحدّد وجوه الترتيل من توجيه الأمر القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلًا**﴾[1]، وقد تعدّدت وجوه التفسير الدلالية لهذا الأمر، والتي تكشف عن أبعاد هذا المنهج الأدائي، وأبرزها:

١. وجه التمكين والتبيين: يقول المفسّرون في قوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلًا**﴾ أي أنزلناه على الترتيل، وفي إنزاله ما يؤدّي إلى التؤدة والتبيين، وهو ضد العجلة، قال الثعالبيّ(ت٨٧٥هـ): "تَمَهَّلْ وَفَرِّقْ بَيْنَ الحروفِ، لَتَبِينَ، والمقْصِدُ أنْ يَجِدَ الفِكْرُ فُسْحَةً للنَّظَرِ وفَهْمِ المعاني"[2]، وقال الإيجي(ت٩٠٥هـ): "بيّنه، واقرأه على تؤدة، وتبيين حروف"[3]. وقال الكليني(ت٣٢٩هـ): **عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن واصل بن سليمان، عن عبد الله بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «ورتل القرآن ترتيلا» قال: قال أمير**

---

[1] سورة المزمل: الآية ٤.

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ٥/٥٠١.

[3] جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن الإيجي الشافعيّ: ٤/ ٣٩٥.

المؤمنين صلوات الله عليه: «بينه تبيانا، ولا تهذه هذ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن افزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»"[1].

٢. وجه الإرسال والسهولة: يدلّ على إرسال الكلام من الفم بسهولة ويسر، بما يضمن وضوح الأداء وسلامة النطق، وبهذا قال العلامة المجلسيّ الذي ذكر أن الترتيل هو "ومن الترتيل وحسن الترسل في القراءة أن يتأنق في اعلاء صوته حين القراءة كما يتأنق الخطيب المصقع يتصوب بصوته تارة ويتصعد به اخرى حسب مقتضى المقام ، فلو علا بصوته في كلمة ثم خفض صوته بالكلمة بعدها وهكذا بحيث صار مخالفا لطبع القراءة كان خارجاً عن الترتيل الواجب عليه بالسنة، والكلام في الإسراع بالقراءة والإبطاء فيها كالكلام في إعلاء الصوت واخفاضها لا، يا، بلا، ويؤيّد هذا المعنى بل يصرح به قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾[2]، لأن المعنى: إنّا أنزلنا القرآن متفرّقًا بين قطعاتها سورة سورة لنثبّت به فؤادك بإنزال كلّ سورة عند الحاجة إليها ولتقرأه على الناس على مكث، فيتعلموه ويتأنسوا به"[3]، وقد بين الشيخ محمّد الأمين* في كتابه الوجيز مراد الإمام الجزريّ بالترتيل: موضحاً أنه يعني:

---

[1] الكافي: الشيخ الكليني: ٦١٤/٢، كتاب فضائل القرآن، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، الحديث رقم (١). وجاء في بعض النسخ المحققة للحديث عبارة "تبينه تبياناً "بدلاً من "بينه تبياناً"، وعبارة "اقرعوا قلوبكم "بدلاً من "افزعوا قلوبكم. وينظر: زبدة التفاسير، الشريف الكاشاني: ٥٦٧/٤.

[2] سورة الفرقان: الآية ٣٢.

[3] بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ٨٥/٢-٣.

* الأستاذ الدكتور محمد بن سيدي محمد محمد الأمين رئيس قسم القراءات في كلية القرآن بالجامعة الإسلامية وصاحب كتاب الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز: كتاب الوجيز.

التلبّث في قراءته، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض"[1]

أهمّيّة الترتيل:

تمثّل أهمّيّة الترتيل في تلاوة القرآن الكريم محوراً أساسيّاً يستند إلى الأدلّة الشرعيّة والأصول العلميّة، كما تتأكّد أهمّيّته في قوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلًا**﴾[2] حيث أمر الله تعالى نبيّه –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، بالعمل به. وهنا تزداد أهميته؛ حيث إنّ قول الله تعالى لم يقتصر على الأمر بالفعل؛ بل أكّده بالمصدر "ترتيلًا"؛ وذلك اهتمامًا به وتعظيمًا له؛ ليكون ذلك عونًا على تدبّر القرآن وتفهّمه"[3]، وقال الشيرازيّ: "ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «**أنّ القرآن لا يقرأ هذرمة، ولكن يرتّل ترتيلًا، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار وقفت عندها وتعوذت بالله من النّار**»، وقد نقل عن حالات النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– أنّه كان يقطع قراءته آيةً آيةً، ويمدّ صوته مدًّا"[4]، وهذا يبيّن التطبيق العمليّ للترتيل، مؤكّداً على إخراج كلّ حرف من مخرجه الصحيح، مع ضبط الصوت والنغم بما يخدم الفهم والتدبّر.

---

[1] الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز، محمد الأمين: ٢٨/١. وهو مستفاد ومستوحى من كلام أبن الجزري في كتابه: النشر في القراءات العشر: ٢١٣/١–٢١٥.

[2] سورة المزمل: الآية ٤.

[3] صفحات في علوم القراءات، السندي، عبد القيوم عبد الغفور: ١٨٨/١.

[4] الكافي، للكليني: الحديث رقم (٢): ٦١٧/٢، كتاب فضل القرآن، باب: في كم يقرأ القرآن ويختم. وينظر: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيرازي: ١٩/ ١٣٠.

ومن هذا يتبيّن أنّ الترتيل ليس مجرّد نطق الحروف حال القراءة، بل هو منظومة متكاملة من الأداء الصوتيّ الدقيق لتحقيق أهداف القرآن التربويّة والبيانيّة.

خامساً: مفهوم الدلالة:

الدلالة في اللغة: الدلالة مشتقّة من الجذر الثلاثي (دلل)، الذي يحمل في أصله اللغويّ معنيين أساسيّين متمايزين، كما يذكر ابن فارس: "الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلّمها، ولآخَر اضطرابٌ فى الشيء، فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة فى الشيء، وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة، والأصل الآخَر قولهم: تَدَلْدَل الشَّيء، إذا اضطرَبَ"[1]، ومن هذا الأصل يتفرع المعنى اللغوي الرئيس للدلالة الذي يتمثّل في الإرشاد والإبانة: إذ إنّ دَلَلْتُ فُلانًا عَلى الطَرِيقِ، أي: أَرْشَدْتُهُ إلَيهِ وَبَيَّنتُهُ لَهُ، وهنا يكون (الدليل) هو العلامة أو الأمارة التي يُستدَلّ بها على الشيء، ووصف الشيء بأنّه "بيِّن الدَّلالة أو الدِّلالة" يعني أنّه واضح الإشارة والبيان.

وعند الأصوليين: "الدَّلالة بفتح الدال وكسرها مصدر من الفعل دَلَّ، أي أَرشَدَ، ويعني "دللت فلان الطريق" أي أرشدته وأوضحت له المسلك، و(الدليل) العلامة أو الأمارة

[1] مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢/٢٥٩، مادة (دل).

التي تستدلّ بها على الشيء، و(بيّن الدَلالة و الدِلالة) الواضح الإشارة: الدَّلالة بالفتح حِرْفة الدَّلاَّل، ودَليلٌ بَيِّن الدِّلالة بالكسر لا غير"[١].

الدلالة في الاصطلاح: في الاصطلاح العلميّ، تحدّد الدلالة النظام الذي يحكم العلاقة بين الدالّ (العلامة، اللفظ) و المدلول (المعنى)، وقد تعدّدت تعريفات العلماء لهذا المفهوم المركزيّ، فقد عرّف الشريف الجرجانيّ الدلالة بأنّها: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدالّ، والثاني هو المدلول"[٢]، ويتّضح من هذا التعريف أنّ الدلالة تقوم على علاقة تلازم وارتباط ضروريّين بين الطرفين، بحيث يؤدي إدراك أحدهما إلى إدراك الآخر، ويشير الدكتور إبراهيم أنيس* إلى جوهر الدلالة فيقول: "هي العلاقة بين اللفظ والمعنى"[٣]، ويؤكّد هذا التعريف أنّ قيمة اللفظ تنبع من قدرته على حمل معنى في ذهن المتلقّي، وأنّ هذه العلاقة قد تكون مباشرة أو تحتاج إلى سياق لتوضيحها،

بينما يوسّع الدكتور أحمد مختار عمر* نطاق المفهوم ليشمل مجالاً علميّاً أوسع، فيعرف علم الدلالة بأنّه: "العلم المختصّ بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب

---

[١] جمهرة اللغة ، ابن دريد محمد بن الحسن: ١٠٤/١، مادة (د ل ل). وينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد الفيومي، ١٩٨/١. وينظر: دلالة الاقتران ووجه الاحتجاج بها عند الأصوليين، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري: ١٢.

[٢] التعريفات: الجرجاني: ١٠٤

[٣] دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس: ٥.

* إبراهيم أنيس : هو عالم لغوي ومترجم مصري بارز، ويُعد رائد الدراسة اللغوية الحديثة (علم اللغة) في العالم العربي، وأحد أوائل الذين أدخلوا المناهج اللسانية الغربية الحديثة إلى ساحة الدراسات العربية.

اللغويّة في سياقاتها المختلفة"[1]، وهذا التعريف يحدّد أنّ علم الدلالة لا يدرس الكلمات المفردة بمعزل عن سياقها، بل يبحث في معاني الوحدات اللغويّة بمستوياتها المختلفة (كلمة، عبارة، تركيب) ضمن سياقات الاستعمال المتنوّعة.

وقد تطوّر مفهوم الدلالة من معناه اللغويّ الأصليّ المتمثّل بالإرشاد والبيان عبر علامة أو أمارة، إلى مفهومه الاصطلاحيّ الدقيق الذي يدرس طبيعة العلاقة النظاميّة بين الدالّ والمدلول، ليصبح علماً قائماً بذاته يبحث في كيفيّة تشكُّل المعنى ونقله عبر الوحدات والسياقات اللغويّة المختلفة.

---

[1] معجم اللغة العربية المعاصر، د أحمد مختار عمر: ١/ ٧٦٤.

*د. أحمد مختار عمر: هو أحد أبرز علماء اللغويات والمعاجم في العصر الحديث. كان أستاذاً للعلوم اللغوية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وعضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وله إسهامات مشهودة في تطوير الصناعة المعجمية، من أبرزها معجمه الشهير "معجم اللغة العربية المعاصرة."

الفصل الأوّل

الدلالة العقديّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل

المبحث الأول: الدلالة على إثبات الوحي وصدق النبوّة

المبحث الثاني: الدلالة على إعجاز القرآن والتحدّي به

الفصل الأوّل

الدلالة العقديّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل

يتناول هذا الفصل البعد العقديّ للآيات القرآنية التي وردت فيها (القراءة والتلاوة والترتيل)، ويركّز على الدلالة العميقة لتلك الآيات التي لا تقتصر على الأداء الصوتيّ في التلاوة والقراءة والترتيل بل تتجاوز ذلك الأمر إلى توضيح أبعاد أساسيّة في العقيدة مثل إثبات حقيقة الوحي، وصدق الرسول، ودور القرآن في الهداية البشريّة، وتقوية الإيمان، ويوضّح طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق من هذه الآيات المباركة.

العقيدة في اللُّغة: يستمدّ مصطلح العقيدة دلالته من الجذر اللغوي (عقد)، الذي يشير في أصله إلى الإحكام، والربط الوثيق، والثبات، وتبيّن الدراسات اللغويّة أنّ لفظة (عقد) تعبر عن الطابع الجوهريّ والاستقرار الداخليّ وهو ما يتبيّن في عملية التصديق القلبيّ والالتزام العقليّ الثابت.

وقد تناول اللغويّون هذا المعنى من جوانب مختلفة، فقد قال الخليل بن أحمد الفراهيديّ: "عَقَدَ قَلبَهُ عَلى شَيءٍ: لَمْ يَنْزِعْ عَنْهُ"[1]، وقوله هذا يظهر الصفة الجوهريّة للعقد وهي الثبات والاعتماد على القناعة الداخليّة، وقال ابن فارس مؤكّدًا على عمق

[1] كتاب العين، للفراهيدي: ١/١٤٠، مادة (عقد).

هذه الدلالة أنّ: "العين والقاف والدال أصل واحد يدلّ على شدٍّ وشِدّةِ وُثوق"[١]، وقال ابن منظور: "وَاعْتَقَدَ كَذَا بِقَلْبِهِ وَلَيْسَ لَهُ معقودٌ أَي: عقدُ رأْي"[٢]، ويعكس هذا الرأي الصلة الوثيقة بين الفكر والعقيدة، ويتّضح أنّ العقيدة تُرسَّخ داخل النفس كقاعدة صلبة تمنح الثبات والاستقرار، وهو ما يميّزها عن الرأي العابر أو الفكرة العابرة التي لا تترك أثرًا دائمًا.

العقيدة في الاصطلاح: لقد تطوّر استعمال مصطلح العقيدة في الاصطلاح ليشير إلى حقيقة الإيمان الجازم الذي يستقرّ في القلب، قال الشيخ الصدوق(ت ٣٨١هـ): " إنّ اصول الدين و مسائل العقيدة لا بدّ أن يتوصّل الانسان إليها بنفسه و بالاستعانة بعقله الذي هو رسول باطن لديه، و ان استرشد إلى ذلك بطريق أهل البيت عليهم السّلام و العلماء بحديثهم فلا بأس، أما أن يتقيد في ذلك بالنصوص، و لا يتعداها، أو يعتمد على ما ضعف و وهن منها، أو يقلّد من يقول فيها برأي، اعتمادا على الظن، فلا"[٣]. وقال الشريف الجرجانيّ: "الاعتقاد: ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل"[٤]، مميزاً بذلك بين حقيقة الاعتقاد القلبيّ ومظهر العمل السلوكيّ، مع الإشارة إلى ترابطهما العضويّ، وهو بهذا القول يميّز الإيمان القلبيّ

---

[١] مقاييس اللغة، بن فارس: ٨٦/٤، مادة (عقد).

[٢] لسان العرب، لأبن منظور: ٢٩٩/٣، مادة (عقد).

[٣] اعتقادات الأمامية ، للشيخ الصدوق: ٣/١.

[٤] التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٥٢.

عن العمل بالجوارح، ولكنّ العمل جزء من إتمام الإيمان، والاعتقاد الصادق يثمر عملاً يوافق ظاهر الإنسان وباطنه.

وقال ناصر مكارم الشيرازي (ت ١٤٤٧هـ): " العقائد (جمع عقيدة): وهي مأخوذة من العقد والشد والربط المحكم. وفي الاصطلاح الفكري: هي الأصول والركائز الفكرية الإيمانية التي ينعقد عليها قلب الإنسان، وتستقر في أعماق نفسه استقراراً جازماً لا يداخله شك، ومنها تنطلق تصرفاته وسلوكه في الحياة" [١]

وفي موسوعة العقيدة عُرفت بأنها: "تطلق على الإيمان بأُصول الدين ، من التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد. وقد قرّر العلماء من الفريقين على أنّ العقائد يجب أن يتوصّل إليها الإنسان بالقطع واليقين ، ولا يكفي في العقيدة الظنّ والتقليد"[٢] واتسع المدلول الاصطلاحيّ للعقيدة في الدراسات المعاصرة، حيث عرّفتها الباحثة حسناء ديالمه بأنّها: "ما انعقدت قلوبنا وعقولنا على معرفته معرفة غير قابلة للتشكيك، وما انعقدت عواطفنا عليه انعقادًا يصرف أفعالنا وحركاتنا، وحبّنا وبغضنا، بطريقة شعوريّة أو بطريقة لا شعوريّة، فمتى بلغ شعورنا بالشيء إلى حدّ أصبح يحرّك عواطفنا ويوجّه سلوكنا حمل اسم عقيدة"[٣]، وهذا يعني أنّ العقيدة هي كلّ ما يرسخ في العقل والقلب رسوخًا قويًّا لا يتطرّق له أيّ شكّ، بحيث تصبح أفعال الإنسان نابعة من إيمان عميق وصادق بذلك المعتقد.

---

[١] كتاب العقائد الإسلامية : ناصر مكارم الشيرازي، ١/١١-١٥.

[٢] موسوعة الأسئلة العقائديّة: مركز الأبحاث العقائدية ، ٥/ ٥٨١.

[٣] الفكر التربوي الإسلامي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق، حسناء ديالمة: ١٤٣

وأكّد الدكتور منيب الطحّان* على البعد الشموليّ للعقيدة في تأثيره على السلوك، حيث عرّفها بأنّها: "ما يعقد الإنسان قلبه عليه، ثمّ أصبحت تطلق على ما يدين الإنسان به من الأفكار والآراء التي يؤمن بها والتي تحلّ في قلبه وضميره، وتنعكس على تصرّفاته وسلوكه"[١]، أي إنّ العقيدة هي كلّ ما يعتقد به الإنسان من أفكار ومبادئ ويؤمن بها حتّى تظهر أثارها في أفعاله وتصرّفاته وسلوكه العمليّ في الحياة.

كما عرّفت العقيدة اصطلاحًا بأنّها: "الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له التوحيد، والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وبما يتفرّع عن هذه الأصول ويلحق بها ممّا هو من أصول الدين"[٢].

وهكذا يتّضح أنّ المفهوم الاصطلاحيّ للعقيدة يجمع بين اليقين المعرفيّ والثبات القلبيّ والتأثير السلوكيّ، ممّا يجعلها نظامًا متكاملًا يوجّه حياة الإنسان.

وقد جاءت آيات القراءة والتلاوة في القرآن الكريم دالّة على المعاني العقديّة في السياقات القرآنيّة، وسنتناول هذه الدلالات العقديّة في مبحثين: المبحث الأوّل: الدلالة على إثبات الوحي وصدق النبوّة، والمبحث الثاني: الدلالة على الإيمان بإعجاز القرآن والتحدّي به.

---

[١] الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان، منيب الطحان: ١٣٦.

*منيب الطحان: هو باحث إسلامي كرس جهده الفكري للدراسات القرآنية والدفاع عن العقيدة بأسلوب يجمع بين العقل والمنطق والدليل الشرعي.

[٢] البناء العقدي في السور المكية، الباحث: حيدر حسن خلف، أ. د. حيدر تقي فضيل العلاق، جامعة واسط كلية التربية للعلوم الإنسانية: ٥٨.

المبحث الأول:

الدلالة على إثبات الوحي وصدق النبوّة

تناول هذه المبحث تحليل مجموعة من المؤشرات المتكاملة التي تُثبت صحة الوحي وحقيقة النبوة، وذلك عبر وسائل متعددة تجمع بين المؤشرات التاريخية والمعرفية والعقلانية والنصية. وتبدأ الدراسة بدراسة بداية نزول الوحي وشهادات العلماء القدامى والأدلة العقلانية التي سبقت بدء الرسالة. ثم تنتقل إلى دراسة القرآن الكريم بوصفه وحيًا خاصًا، والأدلة الواردة في تلاوته وقصصه التي تُثبت أصله الإلهي وتُعزز أسس الإيمان على قاعدة متينة ومنطقية.

أوّلاً: بداية الوحي وإعلان النبوّة:

تمثّل الآيات التي نزلت من القرآن الكريم على النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– المنطلق الأساس للدلالة العقديّة في إثبات حقيقة الوحي والنبوّة، حيث تجسّد القراءة والتلاوة الارتباط المباشر بين الذات الإلهيّة والنبيّ المُرسَل.

وتأتي الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[1] في طليعة ما نزل من الوحي، لتشكّل المدخل العقديّ لمسيرة النبوّة، وقد تعدّدت تفسيرات العلماء لهذه الآية:

فقد روى عليّ بن إبراهيم القُميّ(ت٣٠٧هـ) عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: "قَالَ نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عَلَى مُحمّدٍ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، فَقَالَ: يَا محمّد اقْرَأْ، قَالَ: وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾، يَعْنِي خَلَقَ نُورَكَ الْأَقْدَمَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ، ﴿**خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ يَعْنِي خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ"[2]، ونلاحظ هنا أنّ القمي يركّز على الرواية ذات الجانب العقديّ التي تجعل القراءة إعلانًا للنبوّة وارتباطها بالوحي.

أمّا الطبريّ فقد بين شموليّة الدلالة العقديّة في الآية بقوله: "يقول جلّ ثناؤه لنبيّه محمّد –صلّى الله عليه [وآله] وسلّم–: اقرأ يا محمّد باسم ربّك الذي خلق جميع الخلق"[3]، والطبري يبيّن هنا أنّ الأمر بالقراءة يشير إلى نقل العلم الإلهيّ إلى الخلق بوساطة الوحي، ويتجلّى العمق العقديّ في الربط بين فعل القراءة واسم الله تعالى.

وبيّن الطوسيّ هذه الدلالة بقوله: "هذا أمر من الله تعالى لنبيّه –صلّى الله عليه وآله وسلّم– أن يقرأ باسم ربه الذي خلق الخلق، وأن يدعوه بأسمائه الحسنى، وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمّى، لأنّ الاسم وصف ليذكر به المسمّى بما لا سبيل إلى تعظيمه إلا بمعناه، فلهذا لا يعظّم اسم الله حقّ تعظيمه إلّا من هو عارف به

---

[1] سورة العلق: الآية ١.

[2] تفسير القمى، لابى الحسن على بن ابراهيم القمى: ٤٣٠/٢.

[3] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٥٣١/٢٤.

ومعتقد لعبادة ربّه فهو معتقد بتعظيم المسمّى"[1]، وفي هذا النصّ يظهر بوضوح المعنى العقديّ بأنّ النبوة قائمة على وحي ربّانيّ خالص.

ويشير القرطبيّ(ت٦٧١هـ) إلى البعد العقديّ في الربط بين الخلق والربوبيّة، وذلك بقوله: "وَمَعْنَى ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ أَيِ اقْرَأْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ القرآن مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ، وَهُوَ أَنْ تَذْكُرَ التَّسْمِيَةَ فِي ابْتِدَاءِ كُلِّ سُورَةٍ"[2]، والقرطبيّ يربط هنا بين الأمر بالقراءة بوصفه بداية الوحي، وهذا يمنحها بعدًا عقديًّا محوريًّا في إثبات النبوّة، وإنّ اقتران القراءة باسم الله يعدّ تربية إيمانيّة على التوحيد، فلا قراءة ولا وحي إلّا باسم الله تعالى، وإنّ الجمع بين الخلق والربوبيّة في الآية يرسّخ عقيدة توحيد الربوبيّة، في مواجهة اعتقاد المشركين الذين كانوا يفصلون بين الخالق والمدبّر.

وهكذا تتجلى الدلالة العقديّة بوصف هذه الآية تمثّل الإعلان الرسميّ لبدء النبوّة، والتأكيد على أنّ مصدر الوحي مصدر إلهيّ خالص، وترسّخ هذه الآية لعقيدة التوحيد في الربوبيّة والألوهيّة.

معنى الربوبيّة: "في قوله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾[3] إلى آخر الآية فيه بيان مالكيته تعالى لكل من في السماوات والأرض التي بها يتم للإله معنى الربوبية فإن الرب هو المالك المدبر لأمر مملوكه ، وهذا

---

[1] التبيان في تفسير القرآن، للطوسي: ٣٧٩/١٠. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣٩٨/١٠.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١١٩/٢٠.

[3] سورة يونس: الآية ٦٦.

الملك لله وحده لا شريك له فما يدعون له من الشركاء ليس لهم من معنى الشركة إلا ما في ظن الداعين وفي خرصهم من المفهوم الذي لا مصداق له"[1]

ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ البعد العقديّ في الآية هو الأساس للإعلان عن مصدر المعرفة وهو الأمر بالقراءة المقترنة ﴿**بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ الذي يؤسّس لعقيدة مصدريّة، ومن خلال تفويض النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– كما ذكر الطوسيّ والقُميّ في روايتيهما، وإنّ ترسيخ التوحيد عن طريق ربط القراءة باسم ﴿**رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ يكون بجعل الربوبيّة المطلقة لله عزّ وجلّ.

ثانياً: إثبات صدق الوحي:

تمثّل الآية الكريمة: ﴿ **فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾[2] مثالاً بارزاً في إثبات صدق الوحي من خلال الإشارة إلى الشهادات التاريخية في الكتب السماوية السابقة.

---

[1] الميزان في تفسير القرآن: للطباطبائي، ١٠/ ٩٤

[2] سورة يونس: الآية ٩٤.

عالج المفسّرون طبيعة الخطاب في الآية من خلال بيان وجه توجيهه للنبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– مع ثبوت يقينه، حيث قال القشيريّ(ت٤٦٥هـ): "ما شكّ –صلّى الله عليه [وآله] وسلم– فيما عليه أنزل، ولا عن أحد منهم سأل، وإنّما هذا الخطاب على جهة التهويل، والمقصود منه تنبيه القوم على ملازمة نهج السبيل، ويقال صفة أهل الخصوص ملاحظة أنفسهم وأحوالهم بعين الاستصغار، ويقال فإن تنزّلت منزلة أهل الأدب في ترك الملاحظات فسل عمّن أرسلنا قبلك فهل بلّغنا أحدا منزلتك؟ وهل خصصنا أحداً بمثل تخصيصك؟"[١]، ويذكر الخازن(ت٧٤١هـ) في تفسير هذه الآية: "إن كنت يا محمّد في شكّ ممّا أنزلنا إليك؛ يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه؛ يعني القرآن، ﴿**فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾[٢]؛ يعني علماء أهل الكتاب يخبرونك أنّه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وأنّك نبيّ يعرفونك بصفتك عندهم"[٣]، ويبيّن الخازن أنّ هذا الأسلوب البلاغيّ يهدف إلى إقامة الحجّة على المكذِّبين، مؤكّدًا أنّ النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، لم يقع منه شكّ، وإنّما الخطاب للتأكيد على وضوح الأدلة، ويشير أبو حيّان الأندلسيّ(ت٧٥٤هـ) إلى البعد العقديّ في الأسلوب القرآنيّ في هذه الآية؛ فيقول في تفسيرها: "فإن وقع لك شكٌّ فرضًا وتقديرًا، فسبيلُ من خالجته شبهةٌ في الدين أن يُسارع إلى حلّها، إمّا بالرجوع إلى أدلّة الدين، أو بمراجعة العلماء المنبّهين على

---

[١] لطائف الإشارات، القشيري: ١١٥/٢.

[٢] سورة يونس: الآية ٩٤.

[٣] لباب التأويل في معاني التنزيل، االخازن: ٤٦٤/٢.

الحقّ"[1]، والآية وفق هذا التفسير تقدّم منهجاً عقديّاً في معالجة الشبهات عن طريق الرجوع إلى المصادر الموثوقة وأهل الاختصاص،

وتأسيساً على ما تقدّم، تتجلّى الدلالة العقديّة للآية في تأكيدها استمرارية الوحي واتّساق الرسالات السماويّة، وإقامة الحجّة على صدق نبوّة محمّد -صلّى الله عليه وآله وسلّم-، من خِلال الإشارة إلى البشارات الموجودة في الكتب السابقة؛ ممّا يعزّز اليقين الإيمانيّ ويقوّي الثقة بمصدر الوحي الإلهيّ، إذ إنّ لفظة "**يَقْرَءُونَ**" تؤسّس دليلاً عقديّاً نقليّاً تاريخيّاً على صدق نبوّة محمّد -صلّى الله عليه وآله وسلّم-، يقوم على:

١. شهادة علماء مختصّين (لا عامّة الناس).

٢. استمرارية وجود النصّ الشاهد في الكتب السابقة (لا انقطاعه).

٣. وحدة المصدر الإلهيّ للرسالات، وأنّ القرآن مصدِّق لما بين يديه من الكتاب (التوراة والإنجيل في أصلها).

٤. منهجيّة دفع الشكّ بالرجوع إلى أهل العلم والعدول في النقل.

ثالثاً: البرهان العقليّ على صدق النبوّة قبل البعثة:

[1] البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ١٠٦/٦.

لقد عاش النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بين قومه أربعين سنة قبل أن يُوحى إليه ولم يُعرَف عنه أنّه عالم بعلم الوحي أو يعرف أمور الشعر أو السحر، ممّا يجعل نزول القرآن عليه دليلًا قاطعًا على صدق نبوّته وحقيقة الرسالة الإلهيّة التي بُعث بها، وهذا برهان واقعيّ محسوس، ودليل ذلك جاء قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[1].

ويبرز هنا السياق التاريخيّ لحياة النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– قبل البعثة دليلًا عقليًّا محسوسًا على صدق نبوّته، حيث يشير الرازي(ت٦٠٦هـ) إلى هذه الدلالة بقوله: " فقوله ﴿**لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْراكُمْ بِهِ**﴾ حكم كمه عليه الصلاة والسلام بأن هذا القرآن وحي مِنْ عند الله تعالى، لا من اختلاقي ولا من افتعالي"[2]، فالبرهان هنا يقوم على المقارنة بين حال النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– قبل البعثة وبعدها، ممّا يؤكد أنّ القرآن ليس نتاجًا لخبرته الخاصّة أو اكتسابه العلميّ، وأكّد القرطبيّ هذا البعد العقديّ في ربط التلاوة بالمشيئة الإلهيّة بقول: " ﴿**قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ**﴾، أي لو شاء الله ما أرسلني إليكم فَتلوت عليكم القرآن، ولا أعلمكم الله ولا أخبركم به"[3]، فالربط بين التبليغ والمشيئة الإلهيّة يؤكّد أنّ الرسالة خارج نطاق الاختيار البشريّ، ممّا يعزّز اليقين بمصدرها الإلهيّ، وتابعه في ذلك

---

[1] سورة يونس: الآية ١٦.

[2] مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٢٦/١٧.

[3] الجامع لإحكام القرآن، للقرطبي: ٣٢٠/٨.

البحرانيّ(ت١١٠٧هـ) مؤكّداً أنّ الدلالة التاريخيّة قول النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–: "لقد لبثت فيكم أربعين سنة قبل أن يُوحى إليّ؛ ولم أتكلّم بشيء منه حتّى أُوحي إليّ"[١]، ويشير ما ذكره البحرانيّ إلى أنّ النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم–،قد عاش بين قومه مدّة طويلة من الزمن قبل الوحي ولم يُعرَف عنه قول أو علم بمثل ما جاء به القرآن الكريم، ويعدّ هذا دليلًا قاطعًا على أنّ ما نطق به النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– هو وحي إلهيّ لا أثر فيه للبشر، ويؤكّد ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) هذا الاستدلال في الآية بقوله: "هذا الجواب استدلال على أنه مرسل من الله تعالى، وأنه لم يختلق القرآن من عنده بدليل التفت في مطاويه أدلة*، وقد نظم فيه الدليل بانتفاء نقيض المطلوب على إثبات المطلوب، إذ قوله: لو شاء الله ما تلوته تقديره لو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته."[٢]، ويرى ابن عاشور أنّ هذه الآية جاءت جوابًا على تهمة المشركين للرسول –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بأنّه اختلق القرآن من عند نفسه، فالآية تدلّ على أنّ القرآن وحيٌ من عند الله، وليس من كلام النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، وقد بيّن محمّد جواد مغنية(ت١٤٠٠هـ) هذه الدلالة العقديّة في تفسيره بقوله على لسان النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– "ولا أعلمكم الله به، والمعنى الله سبحانه هو الذي أنزل عليّ القرآن، وأمرني أن أبلّغه للعالمين ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، وفيه كلّ الطاقات

---

[١] البرهان في تفسير القرآن، للبحراني، ١٥/٤.

[٢] التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٢٠/١١.

والمؤهّلات لتحقيق ذلك، ويستحيل على مخلوق أن يأتي بمثله"[1]، وهذا يدلّ على أنّ القرآن وحي من عند الله تعالى أنزله الله على نبيّه محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– ليهدي الناس ويُخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، وهو معجزة إلهيّة يعجز البشر عن الإتيان بمثله، ممّا يدل على صدق النبوّة والوحي.

وهذه الشهادة التاريخيّة تشكل برهانًا عمليًّا على أنّ ما جاء به النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– ليس مكتسباً ولا متعلَّماً، بل هو وحيٌ إلهيّ محض، وهنا نلاحظ أنّ عبارة "ما تلوته" في الآية ليست مجرّد نفي للقراءة، بل هي محور استدلاليّ متكامل، فهي تجمع بين الدليل التاريخيّ الملموس حياة النبيّ الأمّيّ قبل البعثة والدليل العقليّ استحالة صدور هذا البيان المعجز من ذلك المصدر السابق، والدليل العقديّ هنا هو ربط الأمر بالمشيئة الإلهيّة.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾"[2]، ذكر الثعلبيّ(ت٤٢٧هـ) في تفسيرها: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو**﴾ يا محمّد ﴿**مِنْ قَبْلِهِ**﴾ أي من قبل هذا الكتاب الذي أنزلنا عليك ﴿**مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ**﴾ تكتبه ﴿**بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾، يعني: لو كنت تكتب أو تقرأ الكتب قبل الوحي إذًا لشكّ المبطلون؛ أي: المشركون من أهل مكّة، وقالوا: هذا شيء تعلّمه

---

[1] المبين، محمد جواد مغنية: ٢٦٨.

* مطاوية أدلة: ثنايا ما نطوى داخل الشيء.

[2] سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

محمّد وكتبه، وقيل: ﴿**الْمُبْطِلُونَ**﴾ هم اليهود، ومعنى الآية: إذًا لشكّوا فيك واتّهموك يا محمّد، وقالوا: إنّ الذي نجد نعته في التوراة هو أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب[١]، وقال الفيض الكاشانيّ(ت١٠٩١هـ): "﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾ ذكر اليمين زيادة تصوير للمنفيّ، ونفي للتجوّز في الإسناد إذًا ﴿**إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾، أي: لو كنت ممّن يخطّ ويقرأ لقالوا: لعله أو التقطه من كتب الأقدمين"[٢]، وهذا التفسير يشير إلى نفي القراءة والكتابة ويقطع الشبهة بأنّ القرآن منقول من كتب السابقين، وقال أبو زهرة (ت١٣٩٤هـ): "هذه الأخبار عن الماضي يشتمل عليها القرآن الكريم، وهي فيما احتوت دليل قاطع على أنّ القرآن من عند الله؛ إذ جاء بها أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾"[٣]، وهنا يركّز أبو زهرة على الجانب الإعجازيّ الغيبيّ في القرآن ويستدلّ بهذه الآية على أنّ القرآن من عنده أخبر عن أشياء لم يكن يعرفها أحد، وقال الشيرازيّ: "قالوا إنّ ما جاءنا به هذا النبيّ هو حصيلة مطالعاته لكتب الماضين، ومعنى هذه الآية أنّك لم تذهب إلى مدرسة قطّ، ولم تكتب من قبل كتابًا قطّ، لكنّك بإشارة من وحي السماء أصبحت تعرف المسائل أفضل من مئة مدرّس، كيف يمكن أن يُصدّق أنّ شخصاً لم يقرأ كتابًا ولم يرَ أستاذًا ولا مدرسة، أن يأتي بكتاب يتحدّى به جميع البشر أن يأتوا بمثله، فيعجز جميعهم

---

[١] ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي: ٧ /٢٨٥-٢٨٦.

[٢] الأصفى الفيض الكاشاني: ٢ /٩٤٩.

[٣] المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة: ٢٤٨/١,

عن الإتيان بما طلب"[1]، وقال السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله: "هذا يعتبر تحديًّا آخر من القرآن للقوانين الطبيعيّة، إذ لو كان القرآن جاريًا وفق هذه القوانين، لما كان من الممكن أن يجئ به فرد أمّيّ، لم يشارك حتّى في ثقافة مجتمعه، بالرغم من بساطتها، ولم يؤثر عنه أيّ بروز في عالم اللغة بمختلف مجالاتها، فيبث به الانتاج الأدبي كلّه ويبهر بروعته وحكمته وبلاغته أعاظم البلغاء والعلماء"[2].

يتضّح أنّ المفسّرين قد أجمعوا على هذا التوجيه للآية: ما كنت تقرأ أي كتاب قبل هذا القرآن، ولا تعرف الكتابة، ولو كنت كذلك لشكّ المشكّكون في مصدر قرآنك، ولكنك أميٌّ بتلك الصفة، فكانت دليلًا على صدق وحي الله إليك، ولفظة (تَتْلُو) في الآية أقوى دليل على نفي العلم المكتسب عن النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– قبل البعثة، ممّا يجعل القرآن معجزة خارجة عن قدراته البشريّة، ويقطع الطريق على كلّ من يشكّك في مصدره السماويّ، إذن تكون التلاوة هنا هي الدالّة على المعنى العقديّ، فليست هي مجرّد وصف تاريخيّ، بل هي ركن من أركان الإثبات النبويّ، وإنها:

١. سند عقديّ لبيان مصدر القرآن (الوحي).

٢. حجّة عقلائيّة لدفع شبهة التعلّم والنقل.

---

[1] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ٦٨/١٩.

[2] علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم: ١٣١/١.

٣. أساس إعجازيّ ينبني عليه إثبات أنّ القرآن هو المعجزة الخالدة، لأنّها تثبت أنّ حاملها جاء بها من غير الطريق المألوف للتعلّم البشريّ.

وبذلك، تتحوّل آية التلاوة هذه من مجرّد إخبار عن حال النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– إلى بيان عقديّ متكامل يربط بين عصمة المصدر، وصدق الرسول، وإعجاز الرسالة، وقطع شبهة الخصوم، ممّا يجعلها آية محوريّة في الدفاع عن العقيدة الإسلاميّة وفي تقرير أصل من أصول الإيمان.

رابعاً: إثبات حقيقة الوحي وصدق الرسالة بالتلاوة:

تدلّ الآية الكريمة: ﴿ **ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**﴾[1] على إثبات حقيقة الوحي وصدق الرسالة من خلال دلالة التلاوة المستمرة.

لاحظ الآلوسيّ(ت١٢٠٧هـ) الدقّة اللفظيّة في هذه الآية ولا سيّما صيغة فعل التلاوة فيها فقال: ﴿**نَتْلُوهُ عَلَيْكَ**﴾، "أي: نسرده ونذكره شيئا بعد شيء، والمراد تلوناه إلّا أنّه عبّر بالمضارع استحضارًا للصورة الحاصلة اعتناءً بها، وقيل: يمكن الحمل على الظاهر؛ لأنّ قصّة عيسى عليه السلام لم يفرغ منها بعد ﴿**مِنَ الْآيَاتِ**﴾، أي: الحجج الدالّة على صدق نبوّتك إذ أعلمتهم بما لا يعلمه إلّا قارئ كتاب، أو معلَّم، ولست بواحد منهما؛ فلم يبقَ إلّا أنّك قد عرفته من طريق الوحي ﴿**وَالذِّكْرِ**﴾، أي:

---

[1] سورة ال عمران: الآية ٥٨.

القرآن"[1]، فاستعمال صيغة المضارع ﴿**نَتلُوه**﴾ بدلًا من الماضي يحمل دلالة بلاغيّة عميقة على استمرارية الوحي وتجدّد نزوله، ممّا يعكس حيويّة الرسالة واتّساقها مع متطلّبات الدعوة، ويؤكّد السعديّ(ت١٣٧٦هـ) على المنّة الإلهيّة في إنزال الذكر الحكيم فيقول: "وهذا منّة عظيمة على رسوله محمّد –صلّى الله عليه [وآله] وسلّم– وعلى أمّته، حيث أنزل عليهم هذا الذكر الحكيم، المحكم المتقن، المفصّل للأحكام والحلال والحرام وإخبار الأنبياء الأقدمين، وما أجرى الله على أيديهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات، فهذا القرآن يقصّ علينا كلّ ما ينفعنا من الأخبار والأحكام، فيحصل فيها العلم والعبرة وتثبيت الفؤاد ما هو من أعظم رحمة رب العباد"[2]، فالتعبير بـ (نَتلُوه) يشير إلى أنّ مصدر التلاوة هو الله تعالى، ممّا يرسّخ اليقين بأنّ القرآن وحي إلهيّ وليس نتاجًا بشريًّا، ومن هذا القول نجد أن تعبير (نَتلُوه) يدلّ على أنّ الله هو المتكلّم، وأنّ كلّ ما يُتلى على النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، ليس من عنده بل هو من الله ذاته، ممّا يرسّخ دلالة النبوّة وصدق الرسالة. ويكشف ابن عاشور عن الدلالة العقديّة العميقة في الآية بقوله: "أَي إِنَّ تلاوة ذَلك علَيْك مِنْ آيات صدْقك في دعْوى الرّسالة فإِنك لَمْ تَكنْ تعلم ذلك، وهو ذكر وموعظة للنَّاس، وهَذَا أَحْسن مِنْ جعْل نَتلوه خبرًا عن الْمبتدأ، ومن وجوه اخرى،

---

[1] روح المعاني، الآلوسيّ: ١٧٧/٢.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعديّ: ١٢٣.

والحكيم بمعنى المحكم، أو هو مجاز عقلي أَيِ الحكيم عالمه أَو تاليه"[١]، فإخبار النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بما لم يكن يعلمه من قبل يمثّل برهانًا عمليًّا على صدق نبوّته، خاصّة في سياق قصّة نبيّ الله عيسى عليه السلام التي لم يكن لعرب مكة علم تفصيليّ بها، ويشير الطباطبائيّ إلى البعد النفسيّ والتربويّ في الخطاب القرآنيّ بقوله: "وفيه تطييب لنفس رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بأنّه على الحقّ، وتشجيع له في المحاجّة"[٢]، وهو يشير بهذا القول إلى جانب بلاغيّ ونفسيّ في الخطاب القرآنيّ حيث يتمثّل في تثبيت قلب النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، وتعزيزه في مواجهة خصومه، ويقول الشيرازيّ في بيان الدلالة العقديّة: "يتّجه الخطاب إلى رسول الإسلام –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، فيقول: كلّ هذا الذي سردناه عليك دلائل صدق دعوتك ورسالتك، وكان تذكيرًا حكيمًا جاء بصورة آيات قرآنيّة نزلت عليك، تبيّن الحقائق في بيان محكم وخال من كلّ هزل وباطل وخرافة"[٣] ويتّضح من كلام الشيرازيّ أنّ ﴿**نَتلُوه**﴾ تتضمّن دلالة إعجازيّة؛ إذ إنّ النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، لم يقرأ من كتاب، ولم يتعلّم على يد بشر، فهذه التلاوة قرينة دامغة على صدق نبوّته، ودليل على أنّ هذا الكلام هو وحي إلهيّ.

وتأسيسًا على ما تقدّم، تتجلّى الدلالة العقديّة للآية في تأكيدها حقيقة الوحي الإلهي المستمرّ، وبيانها للإعجاز العلمي في إخبار النبيّ –صلّى الله عليه وآله

---

[١] التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٦٢/٣.

[٢] الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي: ٣/ ٢١٣.

[٣] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ٢٤٦/٣.

وسلّم- بما لم يكن يعلم، ممّا يشكل برهانًا قاطعًا على صدق رسالته، وأنّ القرآن كلام الله تعالى.

خامساً: تلاوة الآيات برهان على عدل الله:

تمثّل الآية الكريمة: ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ**﴾[1] رابطًا جليًّا بين تلاوة الوحي وتحقيق العدل الإلهيّ، ممّا يؤسّس لدلالة عقديّة عميقة.

ويُبيّنُ الطبريّ المراد من الآية بقوله: "﴿**آيَاتُ اللَّهِ**﴾، يعني مواعظَ اللَّهِ وعِبرَه وحُجَجَه، ﴿**نَتْلُوهَا عَلَيْكَ**﴾: نَقْرَؤُها عليك ونَقُصُّها ﴿**بِالْحَقِّ**﴾، يعنى بالصدق واليقينِ، وإنما يَعني بقولِه: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ**﴾: هذه الآياتُ التي ذكر فيها أمورَ المؤمنين من أنصارِ رسولِ الله -صلّى الله عليه [وآله] وسلّم-، وأمور يهود بني إسرائيلَ وأهل الكتابِ، وما هو فاعلٌ بأهلِ الوفاءِ بعهدِه، وبالمبدّلين دينه، والناقضين عهدَه بعدَ الإقرارِ به، ثم أخبَر عزّ وجلّ نبيَّه محمّدًا -صلّى الله عليه [وآله] وسلّم-، أنّه يَتلو ذلك عليه بالحقِّ والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبان"[2]، فالتلاوة هنا ليست مجرّد نقل، بل هي إعلان عن مصدر الوحي الإلهيّ، وتأكيد على أنّ ما يبلّغه النبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- هو حقّ لا يشوبه باطل، ويشير الزمخشريّ إلى

---

[1] سورة ال عمران: الآية ١٠٨.

[2] جامع البيان عن تأويل القرآن ، للطبري: ٦٦٨/٥.

التلازم بين التلاوة والحقّ؛ فيقول: "﴿**تِلْكَ آياتُ اللَّهِ**﴾ الواردة في الوعد والوعيد نَتْلُوها عَلَيْكَ ملتبسة بِالْحَقِّ"[١] فهذا التلازم يبرز أنّ التلاوة الإلهيّة تقترن بالصدق والأصالة، ممّا ينفي أيّ احتمال للبطلان أو التحريف، ويؤكّد الطبرسيّ على الحجّة في التلاوة بقوله: "﴿**تلك آيات الله**﴾ أي: تلك التي قد جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبيّناته ﴿**نتلوها عليك بالحقّ**﴾ نقرأها عليك بالحقّ يا محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– ،وعلى أمّتك ونذكرها لك، ونعرفّك إيّاها، ونقصّها عليك، (بالحقّ) أي: بالحكمة والصواب"[٢]، فالتلاوة هنا تحمل وظيفة عقديّة في إقامة الحجّة على الخلق، وتثبيت دعائم الإيمان في النفوس، ويفصّل القرطبيّ في بيان آليّة التلاوة فيقول: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**تِلْكَ آياتُ اللَّهِ**﴾ ابتداء وخبر، يعني القرآن، ﴿**نَتْلُوها عَلَيْكَ**﴾ يعني ننزل عليك جبريل فيقرؤها عليك، ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ أي بالصدق "[٣] فهذا التأكيد على أنّ التلاوة تتمّ عبر جبريل عليه السلام يقطع بأنّ مصدرها إلهيّ خالص، ممّا يرسّخ اليقين بصدق الرسالة.

وكذلك تمثّل الآية الكريمة: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[٤] نموذجاً مركزيًّا آخر في الربط العقديّ بين تلاوة الوحي وإثبات صدق الرسالة، ممّا يؤسّس لدلالة لفظ التلاوة كمصطلح عقديّ يؤكّد حقيقة النبوّة.

---

[١] الكشاف، للزمخشري: ١/٤٠٠.

[٢] مجمع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبرسي: ٢ /٣٦١.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٦٩/٤.

[٤] سورة البقرة: الآية ٢٥٢.

ويُبيّن الطبريّ الدلالة العقديّة للآية بقوله: "حُجَجي عليهم أتلُوها عليك يا محمّد بالحقِّ اليقينِ كما كان، لا زيادةَ فيه ولا تحريفَ، ولا تغييرَ شيءٍ منه عمّا كان، ﴿**وَإِنَّكَ**﴾ يا محمّد ﴿**لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾"[1]، فالتلاوة هنا ليست مجرّد نقل، بل هي إعلان عن حفظ الوحي من أيّ تحريف أو تغيير، ممّا يؤكّد صفة اليقين في المصدر الإلهيّ للقرآن، ويتعمّق الرازي في تحليل آليّة التلاوة فيقول: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**نَتْلُوها يَعْنِي يَتْلُوهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ لَكِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ تِلَاوَةَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِلَاوَةً لِنَفْسِهِ، وَهَذَا تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**﴾"[2]، فنسبة التلاوة إلى الذات الإلهيّة مع كون الفاعل جبريل عليه السلام تؤكّد وحدة مصدر الوحي وعلوّ مكانة النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، ويكشف القرطبيّ عن الدلالة العقديّة العميقة في الربط بين التلاوة والرسالة بقوله: "(**تِلْكَ**) ابتداء (**آياتُ اللَّهِ**) خبره، وإنّ شئت كان بدلاً وَالخبرُ (**نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ**)، (**وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**)، خبر إِنَّ أَيْ وَأنك لمرسل، نبه اللَّه تعالى نبيه –صلَّى اللَّه عليه [واله] وسلم– أَنَّ هذه الآيات التي تقدم ذكرها لا يعلمها إلا نبي مُرسل."[3] فإخبار النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بالغيبيّات التي لا يعلمها إلّا الأنبياء يمثّل برهانًا عمليًّا على صدق نبوّته، ويؤكد الشيرازيّ على البُعد الإعجازي في التلاوة بقوله: "تشير هذه الآية إلى القصص الكثيرة التي وردت في القرآن بشأن بني إسرائيل وأنّ كلًّا منها دليل على قدرة الله

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: ٥١٨/٤.

[2] مفاتيح الغيب، للرازي: ٥٢٠/٦.

[3] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٦١/٣.

وعظمته ومنزّهة عن كلّ خرافة وأسطورة ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ حيث نزلت على نبيّ الإسلام –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، وكانت إحدى دلائل صدق نبوّته وأقواله"[1]، إذن الآية تجمع بين الدقّة النحويّة والعمق الدلاليّ؛ فهي من جهة التركيب يبرز فيها جمال الأسلوب القرآنيّ في تنويع الخبر وتقديم الحجج، ومن جهة المعنى فهي تُؤكّد إثبات النبوّة، لأنّ إطلاع النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– على الغيب ممّا لا يكون إلا بالوحي الذي طريقه التلاوة.

وتأسيساً على ما تقدّم، تتجلّى الدلالة العقديّة للآية في تأكيدها على أنّ تلاوة الآيات ليست عملية نقل فحسب، بل هي تجسيد للوحي الإلهيّ القائم على الحقّ، وإعلان عن عدل الله المطلق، ممّا يشكل برهانًا متكاملًا على صدق الرسالة وكرامة النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–.

سادساً: بناء العقيدة السليمة:

إنّ من وظائف القرآن الكريم هي سرد القصص بأجمل وأبهى صورة، ومن خلال تلك القصص تصحّح الاختلافات التاريخيّة والعقديّة لدى الأمم والشعوب السابقة، حيث يمثّل القصص القرآنيّ منهجًا فريدًا في سرد الحقائق التاريخيّة والعقديّة، والقرآن الكريم هو المصدر الموثوق للأخبار الغيبيّة والتاريخية والعقديّة، وهو الذي يصحّح ما شابها من تحريف واختلاف في كثير من الأمور العقديّة، قال

[1] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ٦٣/٣.

تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا القرآن وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[1]، تناول المفسرون هذه الآية بالتحليل الدقيق، فبينّ الطبريّ أنّ المعنى: "يقول جلّ ثناؤه لنبيّه محمّد –صلّى الله عليه [وآله] وسلّم– : "**(نحن نقصُّ عليك)** يا محمّد، **(أحسن القصص)** بوحينا إليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية"[2] ويشير الطبريّ بذلك إلى أنّ القرآن يشمل أخبار الأمم السابقة والكتب المنزلة في العصور الماضية، ويؤكّد البغويّ(ت٥١٦هـ) على دقة العرض القرآنيّ للقصص؛ فيقول: "القاصّ هو الذي يتبع الآثار ويأتي بالخبر على وجهه، معناه: نبيّن لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان"[3]، وهذا يكشف عن المنهج العلميّ الدقيق في نقل الأحداث، ويشير القرطبيّ إلى الأصل اللغويّ للقصص فيذكر أنّ: " قَوْلُهُ تَعَالَى: **(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ)** ابْتِدَاءٌ وَخَبَرُهُ، **(أَحْسَنَ الْقَصَصِ)** بمعنى المصدر، والتقدير، قصصنا أحسن القصص، وأصل القصص تتبع الشيءِ، ومنه قول تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾[4]، أي تتبعي أثره، فالقاص يتبع الآثار فيُخبر بِها، والحسن يعود إلى القصص لا إلى القصة"[5]، وهذا يؤكّد أنّ القصص القرآنيّ قائم على التتبّع الدقيق للحقائق، وليس مجرّد سرد عشوائيّ، ويلفت ابن كثير(ت٧٧٤هـ) الانتباه إلى

---

[1] سورة يوسف: الآية ٣.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: ٥٥١/١٥.

[3] معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: ٤٧٣/٢–٤٧٤.

[4] سورة القصص: الآية ١١.

[5] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١١٩/٩.

السياق التاريخيّ لنزول الآية، حيث يروي عن ابن عبّاس رضي الله عنه: "نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن، وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قالوا: **يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فنزلت: نحن نقصّ عليك أحسن القصص**"[1]، وهذا يدلّ على أنّ القصص القرآنيّ جاء استجابة لحاجة بشريّة للمعرفة التاريخيّة الموثوقة، ويكمل الألوسي هذا التوجيه التفسيريّ للآية فيبيّن أنّ: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ، أي نخبرك ونحدثّك، من قصّ أثره إذا اتبعه كأنّ المحدّث يتبع ما حدّث به وذكره شيئًا فشيئًا، ومثل ذلك تلي أَحْسَنَ الْقَصَصِ، أي أحسن الاقتصاص، فنصبه على المصدريّة إمّا لإضافته إلى المصدر أو لكونه في الأصل صفة مصدر أي قصصًا أحسن القصص، وفيه مع بيان الواقع إيهام لما في اقتصاص أهل الكتاب من القبح والخلل، والمفعول به محذوف أي مضمون هذا القرآن، والمراد به هذه السورة، وكذا في قوله عزّ وجلّ: بِما أَوْحَيْنا أي بسبب إيحائنا"[2]، ويؤكد السعديّ على الجوانب الجمالية في القصص القرآني بقوله: "**(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)**، وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها ورونق معانيها، **(بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا**

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣٦٦/٤.

[2] روح المعاني، الألوسي: ٣٦٧/٦،

الْقُرْآنَ)، أي: بما اشتمل عليه هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، وفضّلناك به على سائر الأنبياء، وذاك محض منَّة من الله وإحسان"[١].

ويتّضح لنا من خلال تتبّع أقوال المفسرين أنّ لفظ (القرآن) في هذه الآية يدلّ على أنّ الوحي الإلهيّ المنزّل على النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، يتضمّن القصص والأخبار السابقة، والمفسّرون قد أكدّوا أنّ هذا القصص ليست من تأليف النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، بل هي وحي من عند الله ﷻ ممّا يدلّ على إعجاز القرآن وصدقه.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا القرآن يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[٢] يشرح الطبريّ هذه الآية موضّحًا: "أنّ هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمّد يقصّ على بني إسرائيل الحقّ، في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرّأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فقال جلّ ثناؤه لهم: إنّ هذا القرآن يقصّ عليكم الحقّ فيما اختلفتم فيه فاتّبعوه، وأقرّوا لما فيه، فإنّه يقصّ عليكم بالحقّ، ويهديكم إلى سبيل الرشاد"[٣]، ويوضّح الزمخشريّ طبيعة الاختلافات التي صحّحها القرآن بقوله: "قد اختلفوا في المسيح فتحزّبوا فيه أحزابًا، ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتّى لعن

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: ٣٩٣.

[٢] سورة النمل: الآية ٧٦.

[٣] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري ١٩/ ٤٩٤.

بعضهم بعضًا، وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا، يريد اليهود والنصارى لِلْمُؤْمِنِينَ لمن أنصف منهم وآمن، أي: من بني إسرائيل، أو منهم ومن غيرهم"[1]، ويضيف القرطبيّ: "قَوْلُهُ تَعَالَى: **(إِنَّ هذَا القرآن يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)** وَذَلِكَ أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى لَعَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَنَزَلَتْ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ هَذَا القرآن يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ لَوْ أَخَذُوا بِهِ، وَذَلِكَ مَا حَرَّفُوهُ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَمَا سَقَطَ مِنْ كُتُبِهِمْ مِنَ الْأَحْكَامِ، **(وَإِنَّهُ)** يَعْنِي القرآن **(لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)** خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِهِ"[2]، ويتابع الألوسيّ هذا التحليل فيقول: "إنّ هذا القرآن يبيّن لبني إسرائيل أكثر ما اختلفوا فيه من أمور الدين، كأمر المسيح عليه السلام، وأحكام التوراة والإنجيل، وغيرها من المسائل التي وقع فيها التحريف والاختلاف، فهو يظهر الحقّ في تلك القضايا لو أنّهم أنصفوا وتأمّلوا، ولكنّهم جحدوا وكابروا كما فعل المشركون"[3].

وبهذا يتجلّى لنا المنهج القرآنيّ في القصص الذي يجمع بين الدقّة التاريخيّة والعمق العقديّ، مع الوضوح في العرض وجماليّة في التعبير، ممّا يجعله مصدرًا فريدًا للمعرفة التاريخيّة الموثوقة، ومرجعًا حاكمًا في حلّ الاختلافات التي شابت روايات الأمم السابقة.

---

[1] الكشاف: للزمخشري، ٣٨٢/٣.

[2] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٣١/١٣.

[3] روح المعاني: للألوسي، ٢٢٩/١٠.

المبحث الثاني

الدلالة على إعجاز القرآن والتحدّي به

يعالج هذا المبحث الدلالات المرتبطة بحالة الإعجاز في القرآن وذلك بوصفه برهانًا متجددًا لمصدره الإلهي، المتمثل في طبيعة التحدي الذي وجّهه إلى الإنس والجن، وما انطوى عليه من أبعادً لغوية وبيانية ووجودية. ويبرز أيضا خصوصية نزول الوحي، ووقعه على السامعين، لما فيه من كشف عن طاقة إشكالية تتجاوز حدود البيان البشري، وترسّخ الإيمان بحجّيتيها في البناء والدلالة.

أوّلًا: التحدّي الإلهيّ للإنس والجن في الإتيان بمثل القرآن:

تتمثّل مظاهر التحدّي الإلهيّ في الآيات القرآنيّة الدالّة على القراءة والتلاوة، حيث يأتي التحدّي صريحًا في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[1]، أي: "لو برَزت الجنُّ وأعانَهم الإنسُ، فتظاهَرُوا، لم يأتُوا بمثلِ هذا القرآنِ"[2]، وتتجلّى الدلالة الإعجازيّة في قول الطبريّ بأنّ الله عزّ وجلّ يقرّر استحالة الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم، حتّى وإن اجتمعت الإنس والجن وتضافرت قدراتهم لم يتمكّنوا من ذلك، ممّا يدلّ على أنّ الإعجاز القرآن غير قابل للإتيان بمثله أو تقليده، وهذا التحدّي يبرهن على أنّ هذا الكلام فوق طاقة المخلوقين من حيث النظم والمعنى والبيان،

---

[1] سورة الإسراء: الآية ٨٨.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٧٦/١٥.

وهذا هو الإعجاز القرآنيّ، ويبيّن السمرقنديّ(ت٣٧٣هـ) وجوه هذا الإعجاز في هذه الآية فيقول: " قوله عز وجل﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا القرآن لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**﴾[١]، أي بمثل هذا القرآن على نظمه وإيجازه ونسقه مع كثير ممّا ضمن فيه من الأحكام والحدود وفنونها، ويقال: مثل هذا القرآن من تعريه عن التناقض مع كثرة الأقاصيص والأخبار، ويقال: عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا القرآن لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، لأنّ فيه علم ما كان وعلم ما يكون"[٢]، وبهذا التوضيح يبرّز السمرقنديّ في تفسيره أنّ وجه الإعجاز في القرآن يتجلّى في دقّة نسقه وفي نظمه البديع وإيجازه، مع اشتماله على أحكام وتشريعات متنوّعة دون تناقض أو اضطراب، وقال الباقلانيّ(ت٤٠٣هـ) عن هذا التحدّي الذي ذكره القرآن الكريم في هذه الآية: "إنّه تحدّاهم إلى أن يأتوا بمثله، وقرّعهم على ترك الإتيان به، طول السنين التي وصفناها، فلم يأتوا بذلك"[٣]، ويؤكّد البغويّ هذا المعنى بقوله: "لا يقدرون على ذلك، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، عونًا ومظاهرًا، فنزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله"[٤]، وبهذا أثبت البغويّ أنّ القرآن الكريم معجز بذاته، وأنّ عجز

---

[١] سورة الإسراء: الآية ٨٨.

[٢] بحر العلوم، للسمر قندي: ٣٢٨/٢.

[٣] إعجاز القرآن، للباقلاني: ١٧.

[٤] معالم التنزيل، للبغوي: ١٦٠/٣-١٦١.

المخلوقين عن الإتيان بمثله دليل قاطع وجازم على أنّه كلام لم يصدر إلّا من الله ﷻ ولا يشبه كلام أحد من البشر، فهذه الآية جاءت بالتحدّي المطلق بأنّ الجنّ والإنس وإن اجتمعا لا يستطيعون الإتيان بمثل القرآن كلّه، ولا بسورة مثله؛ فإنّ هناك تحديًّا جزئيًّا إذ خفّف التحدّي إلى الإتيان بسورة واحدة فقط من مثله، وهذا تأكيد على عدم قدرتهم على الإتيان بمثله كلًا أو جزءًا، فقد عجزوا عن ذلك عجزًا تامًّا, وجاء التحدّي كذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[1].

وممّا سبق نستنتج أنّ القرآن في آيات التحدّي يمثّل مصطلحًا عقديًّا شاملًا، ولا يقف عند كونه كتابًا منزّلًا فحسب، بل هو:

١. الحجة الإلهيّة الدامغة على وجود الخالق وصفاته.

٢. المعجزة الخالدة القائمة على البرهان العقليّ المحسوس.

٣. المرجعيّة المطلقة في العقيدة والشريعة.

٤. التجلّي الأتمّ لكلام الله غير المخلوق.

وبذلك، يتجاوز الإعجاز البيانيّ إلى إعجاز عقديّ يثبّت أركان الإيمان من خلال دليل التحدّي والعجز الذي يجعل من القرآن نفسه برهانًا على كلّ ما جاء به

[1] سورة البقرة: الآية ٢٣.

ثانياً: بيان عظمة الإعجاز القرآنيّ في قدرته وتأثيره الكونيّ:

إنّ الإعجاز القرآنيّ لا يقف عند المجال البيانيّ؛ بل إنّه يتعداه إلى التأثير الكونيّ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا**﴾[1].

فيشرح الفيض الكاشانيّ (ت١٠٩١هـ) هذه الآية بقوله: "ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال: زعزعت عن مقارها، أو قطّعت به الأرض: تصدّعت من خشية الله"[2]، وهذا التفسير يبيّن أنّ القرآن الكريم له قوّة تأثير لو شاء الله لجعله سببًا في تحريك الجبال من أماكنها لما له من قوّة تعجيزيّة، ويضيف السيّد عبد الله شبّر*(ت١٢٤٢هـ) في تفسيره زيادة في توضيح المعنى لهذه الآية، فقد قال بعد توضيح معاني ألفاظها: "﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ**﴾ أزيلت عن مواضعها ﴿ **أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ** ﴾ شققت أنهارا وعيونا ﴿**أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ** ﴾ بعد إحيائهم وجواب لو محذوف أي لكان هذا القرآن، أو لما آمنوا لفرط عنادهم قيل قالوا لو كنت نبيًّا فسيّر لنا جبال مكّة واجعل لنا فيها أنهاراً وعيونًا لنزرع واحيي لنا أموتنا ليكلمونا"[3]، وتظهر هذه الآية أنّ القرآن بلغ من العظمة والتأثير حدًّا لو شاء الله لجعل به الجبال تسير والأرض تنشقّ، وهذا هو الأعجاز الذي يبيّن قدرة تأثير القرآن

---

[1] سورة الرعد: الآية ٣١.

[2] كتاب الصافي، للفيض الكاشاني: ٢٠٨/٤.

[3] تفسير القرآن الكريم، لسيد عبد الله شبر: ٣٢٥.

*عبد الله بن محمد رضا شبر الحسيني الكاظمي: مفسر مجتهد إمامي. كان ينعت بالمجلسي الثاني. ولد بالنجف، وعاش بالكاظمية والحلة وتوفي بالكرخ. له مؤلفات كبيرة. الأعلام: خير الدين الزركاني: ١٣١/٤.

في القلوب والعقول، ويضيف السعديّ في تفسيره: "يقول تعالى مبيّنًا فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا**﴾ من الكتب الإلهيّة ﴿**سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ**﴾ عن أماكنها ﴿**أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ**﴾ جنانًا وأنهارًا ﴿**أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى**﴾ لكان هذا القرآن، ﴿**بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا**﴾ فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته، فما بال المكذّبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء"[1]، أي: لو كان في قدرة أيّ كتاب من الكتب الإلهيّة أن يُحدث خارقًا كونيًّا، كأن تتحرّك الجبال به وتُقتلَع من مواضعها أو تنشقّ به الأرض وتخرج أنهارها وجنّاتها، ولو كان كلام الله يُسمِع الموتى فيحييهم أو يجعلهم يتكلّمون بسبب تلاوته، لكان الأجدر بكل ذلك هو هذا القرآن، أي: هو وحده المستحقّ لأن تقع به تلك المعجزات الكونيّة لعِظَم قدره وسموّ منزلته، لكنّ الله تعالى لم يجعل معجزته مادّيّة محسوسة، بل عقليّة وبيانيّة باقية على مرّ الزمان، وهذا المعنى هو الذي أثبته الطباطبائيّ في تفسيره إذ قال: "إنّ المعنى: لو أنّ قرآنًا فُعِلَ به ذلك لكان هو هذا القرآن ولكن لم يفعل الله سبحانه، بل فعل ما عليه الشأن الآن، لأنّ الأمر له كلّه له وحده"[2].

ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ لفظة ﴿**قُرْآنًا**﴾ في هذا السياق ليست نكرة للتفخيم فحسب، بل هي مصطلح عقديّ يفيد التميُّز والتفرّد، فهي:

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: ٤١٨.

[2] الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٣٦٠/١١

١. إعلان عن التفرّد الكوني للقرآن من بين الكتب الإلهيّة الأخرى.

٢. تقرير لحكمة الله في اختبار الإعجاز البيانيّ الدائم على المعجزة الحسّيّة العابرة.

٣. تأكيد على فعاليّة كلام الله واتّصاله المباشر بقدرته ومشيئته.

٤. ردّ حاسم على منطق الاقتراح المعاند، وتأصيل للتسليم لحكمة الربوبيّة.

وبذلك، تحوّل هذه الآية التصوّرَ عن معجزة القرآن من مجرّد بلاغة إلى عظمة كونيّة كامنة، وتجعل الإيمان به إيماناً بعظمة مُنزِله وحكمته، لا بمجرّد آثاره الظاهرة، وقد كان محور هذه الآية هو لفظة (القرآن)، فبهذه اللفظة ومعناها وبموقعها في هذه الآية ووظيفتها فيها كانت هذه الدلالة العقديّة.

ثالثاً: نزول القرآن بلسانٍ عربيٍّ مبين:

تتبيّن أوجه الإعجاز القرآنيّ بنزوله بلغة العرب، التي كانت وعاء للوحي، واختيرت بعناية إلهيّة، وهذا الاختيار لم يكن محض صدفة، بل إنّ فيه حكمة بالغة تتجلّى في قدرة هذه اللُّغة على استيعاب المضامين القرآنيّة الدقيقة التي جاء بها، ويتّضح هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[١]، ويبيّن الطبريّ أنّ المقصود بهذه الآية: "يقولُ تعالى ذكرُه :إنّا أنزلنا هذا الكتاب

[١] سورة يوسف: الآية ٢.

المبين قرآنًا عربيًّا على العربِ؛ لأنّ لسانَهم وكلامَهم عربيٌّ، فأنْزلنا هذا الكتاب بلسانِهم، ليَعْقِلوه ويفْقَهوا منه"[1]، وهذا التفسير يكشف أنّ نزول القرآن باللُّغة العربيّة يمثّل تحقيقًا للحكمة الإلهيّة في التبليغ، فالتعبير بـ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ يؤكّد أنّ الإعجاز القرآنيّ يتجذّر في البنية اللُّغويّة العربيّة بأبعادها الأسلوبيّة والبيانيّة، ممّا يجعل هذه اللُّغة أداة للإعجاز ووسيلة للتحدّي في الوقت ذاته، أما قوله تعالى: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ فيكشف أنّ الغاية من نزول القرآن باللُّغة العربيّة تتعدّى مجرّد التلاوة، وتصل إلى تحريك العقل للتدبّر والاستنباط، كما يذكر البغويّ في تفسيره هذه الآية: "﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾، يَعْنِي الْكِتَابَ، ﴿**قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، أَيْ: أنزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه "[2]، وهذا التفسير يوضّح أنّ البيان العربيّ للقرآن هو وجه من وجوه إعجازه حيث أنّ نزوله بلغتهم، ثمّ عجزهم عن الإتيان بمثله، يؤكّد تفرّده اللغويّ والمعنويّ معًا، ويُؤكد البيضاويّ(ت٦٨٥هـ) هذا البعد الإعجازيّ فيربط بين النظم القرآنيّ والبنية اللُغويّة، قائلًا في تفسيرها: "﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾: أي الكتاب، ﴿**قُرْآناً عَرَبِيًّا**﴾ : سمّى البعض قُرْآناً لأنّه في الأصل اسم جنس يقع على الكلّ والبعض وصار علمًا للكلّ بالغلبة ... ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ علّة لإنزاله بهذه الصفة، أي: أنزلناه مجموعًا أو مقروءًا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه، أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أنّ

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٦/١٣.

[2]معالم التنزيل، البغوي: ٤٧٣/٢.

اقتصاصه كذلك ممّن لم يتعلّم القصص معجز لا يتصوَّر إلّا بالإيحاء"[١]، وهذا التفسير يربط بين النظم القرآنيّ والإعجاز المعنويّ والبنية اللُّغويّة، ليؤكّد أنّ نزول القرآن بالعربيّة لم يكن مجرّد اختيار لُغويّ، بل هو تجسيد لحكمة الوحي وتحدٍّ للعقل البشريّ في أعلى درجات البيان، وفي قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ**﴾[٧]، فهذه الآيات وغيرها تؤسّس لما يمكن تسميته بالإعجاز اللغويّ البيانيّ، الذي يجسّد حكمة الوحي ويشكل تحدّيًا للعقل البشريّ ٠ولا سيّما العربيّ في أعلى مراتب البيان والفصاحة.

وبهذا يتّضح أنّ التعبير القرآني بـ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ إنّما هو تعبير فيه جوهر العقيدة التي تتمثّل في أنّه:

---

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ١٥٤/٣.

[٢] سورة طه: الآية ١١٣.

[٣] سورة الشورة: الآية ٧.

[٤] سورة الزخرف: الآية ٣.

[٥] سورة فصلت: الآية ٣.

[٦] سورة الزمر: الآية ٢٨.

[٧] سورة الحجر: الآية ١.

١. شهادة على الحكمة والرحمة الإلهيّتين في التبليغ.

٢. إعلان عن تكليف واختيار للأمّة الحاملة له.

٣. ساحة إعجاز وتحدٍّ تفحم الخصم في مجال تفوّقه.

٤. تقرير لمبدأ الوضوح والبيان في الرسالة الخاتمة.

٥. تأكيد على الترابط العضويّ بين لغة الوحي ورسالته.

٦. أساس لتحقيق العالميّة من خلال المثال الواضح الدقيق.

وبهذا، يتبيّن أنّ الوصف اللُغويّ للقرآن بأنّه عربيّ يتجاوز بوصفه حقيقة تاريخيّة، ليسمو ويكون مبدأ عقديًّا تتبيّن فيه حكمة الله في اختيار الأداة (اللُّغة العربيّة) لتبيّن جانبًا من جوانب إعجازه، ولتحدّد مسؤوليّة الأمّة تجاه كتابها ورسالتها للعالم.

رابعاً: الإعجاز القرآنيّ في التحدّي بالقراءة للوحي المنزّل:

تكشف الآيات القرآنيّة عن موقف المشركين الذين جادلوا النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– فاشترطوا عليه آيات حسيّة خارقة، غير أنّ الإعجاز الحقيقيّ لا يكمن في تحقيق مطالبهم، بل في القرآن نفسه (المقروء) المعجز في نظمه وبيانه، وفي هذا السياق قال تعالى: ﴿**أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا**

رَسُولًا﴾[1]، وقد وضّح المفسّرون طبيعة طلبهم هذا، فهم يريدون: "من رب العالمين إلى فلان بن فلان، لكل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها"[2], أي إنّ الكفّار كانوا يطلبون من النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– أن يكون لكلّ فرد منهم كتاب شخصيّ مكتوب باسمه، ينزل عليه من السماء فيقرؤه، وقال إبراهيم القُمي في تفسيره هذه الآية: "إنّ المشركين قالوا للنبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–: لن نؤمن لك حتّى تأتي بهذه الأمور، ومنها: أن يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد إلى السماء وتأتي بكتاب مكتوب نقرؤه، والمعنى أنّهم لا يريدون الحجّة بل يتعنّتون ويكابرون"[3]، ويبين القمي أنّ طلباتهم لم تكن صادقة بل كانت عنادًا، أمّا الطبريّ فإنّه يؤكّد أنّ هذه المطالب تعجيزيّة فيذكر: "أنّ المشركين قالوا: لن نصدّقك حتّى يكون لك بيت من ذهب أو ترقى في السماء، ولن نؤمن حتّى تأتي بصكّ مكتوب من الله باسم كلّ واحد منّا فيه الأمر باتّباعك، ثمّ أكدّ أنّ هذا طلب تعجيزيّ قائم على المكابرة"[4]، والطبريّ هنا يؤكّد أنّ حجّتهم واهية، وأنّ القرآن بذاته حجّة، ويتوسّع الزجّاج(ت٣١١هـ) في تفسير موقف الكفّار هذا؛ فبيّن أن قوله: ﴿**حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ**﴾ أي:" حتى تُنزل علينا كتاباً يشهد بنبوتك ، فأَعلم الله ﷻ أنّ ذلك لو نزل عليهم لم يؤمنوا فقال: ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ**

---

[1] سورة الأسراء: الآية ٩٣.

[2] تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي: ٤٤٢.

[3] تفسير القمى، لأبي حسن القمي: ٢٧/٢.

[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٨٥/١٥.

الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1]، فإذا كانوا يدّعون فيما يعجزون عنه أنّه سحر؛ فكيف يمكن أن يُتَوصَّل إلى تَبْصِيرَهِمْ والتبيين لهم بأكثر ممّا أتى به النبيّ –صلّى الله عليه [وآله] وسلّم– من الآية الباقية، وهو القرآن، ومن الإنباء بما يدبّرونه بينهم وبما يخبرهم به من أخبار الأمم السالفة، وهو لم يقرأ كتاباً ولا خطّه بيمينه، وقد أنْبأ –صلّى الله عليه [وآله] وسلّم– ودلّ على نبوّته كلّ ما يخطر بالبال"[2]، وهنا نلاحظ أن الزجّاج قد فسّر الآية الكريمة بأنّ الكفّار كانوا يشترطون لإنكارهم أن يُنزَل الله سبحانه وتعالى عليهم كتابًا خاصًّا بكلّ واحد منهم حتّى يقرّ بنبوّة محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– ويشهد بها، لكنّ الله سبحانه وتعالى يبيّن أنّهم لا يؤمنون حتّى وإن تحقّق لهم ما يُريدون، ويذكر الواحديّ(ت٤٦٨هـ) تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنه: "كتابًا من عند ربّ العالمين إلى فلان وفلان، يصبح عند كلّ رجل منّا يقرؤه، قال النبيّ –صلّى الله عليه [وآله] وسلّم–: سبحان ربّي، وقُرِئ: ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي**﴾ على الأمر له بأن يقول سبحان ربّي، قال ابن عباس: عظم وكرم"[3]، ويتبيّن هنا أنّ الكفّار طلبوا من النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– كتابًا ماديًّا خاصًّا بكلّ واحد منهم، موجّهاً إليه من ربّ العالمين، ومكتوباً فيه اسمه، ويبيّن البغويّ هنا أنّ هذا الموقف يعكس رفضًا واستخفافًا بالرسالة فيذكر أن الكفّار قالوا للنبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلم–: ولن نؤمن لرقيّك، لصعودك، حتّى تُنزل علينا كتاباً نقرؤه،

---

[1] سورة الأنعام: الآية ٧.

[2] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٣/٢٦٠.

[3] الوسيط، الواحدي: ٣/١٢٨.

ويؤكّد إنّ الأمر هنا يتضمّن رفضًا واستخفافًا منهم بالرسالة[1]، فالبغويّ يسلّط الضوء على رفض الإنسان(الكافر المعاند) حتّى وإن عُرضتُ عليه المعجزات، وهذا ما يظهر أنّ الإيمان ليس فقط بالبرهان الظاهر إنّما هو بالاقتناع القلبيّ، وقال البيضاويّ: أنّ هذه المطالب لا تزيد في البرهان لأنّهم طلبوا من النبيّ –صلّى الله عليه وآله– أن يَكُونَ لَه بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ من ذهب، أَوْ أن يرْقى فِي السَّماءِ في معارجها، ومع كل هذه المطالب قالوا: ﴿**وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ**﴾ وحده، ﴿**حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ**﴾ ليكون فيه تصديقك من قبلنا[2]، وبهذا يبين البيضاوي أنّ المشركين طلبوا من النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، أشياء خارقة للعادة وتعجيزيّة وهذه الطلبات لا تزيد في البرهان، وإنما المقصود بها الجحود والعناد، أمّا السيّد الطباطبائيّ فإنّه يشير إلى أنّ هذا الموقف يكشف عن العناد القلبيّ منهم؛ فقال: "إن كنتم اقترحتم على هذه الأمور وطلبتموها مني بما أنا محمّد فإنّما أنا بشر ولا قدرة للبشر على شيء من هذه الأمور، وإن كنتم اقترحتموها لأنّي رسول أدّعي الرسالة، فلا شأن للرسول إلّا حمل الرسالة وتبليغها، لا تقلد القدرة الغيبيّة المطلقة"[3]، والسيّد الطباطبائي بهذا التفسير يبيّن أنّ الآية تصوّر منتهى العناد في نفوس المشركين، إذ لم يكتفوا بالوحي المنزّل، بل اقترحوا خوارق لا تليق بمقام

---

[1] ينظر: معالم التنزيل، البغوي: ١٦٣/٣.

[2] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٣/ ٢٦٧.

[3] الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠٣/١٣.

الحجّة، وأرادوا كتابًا مادّيًا خاصًا، وكأنّ القرآن لم يكفهم، وهذا يبيّن أنّ الكفر كان عن اختيار منهم وعناد، وأنّ القرآن معجز لهم وأنّ معجزته هذه هي الباقية، والطباطبائي يربط بين الآية وكونها دليلًا على أنّ الإيمان أو الكفر مسألة قلبيّة اختياريّة.

وهذه الآية تظهر أنّ الإعجاز القرآنيّ قائم على البيان والعقل لا على الخوارق الحسّيّة، وأنّ القرآن بذاته حجّة كافية، وأنّ المطالب التعجيزيّة ما هي إلّا ذرائع للتملّص من قبول الحقّ.

ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ لفظة ﴿**نَقْرَؤُهُ**﴾ في هذا السياق الجدليّ ليست محايدة، بل هي:

١. مؤشر على انحراف في فهم طبيعة الوحي، ومحاولة اختزاله في أمور مادّيّة.
٢. كاشفة عن الإرادة المعاندة التي تبحث عن أيّ ذريعة لرفض الحقّ، حتّى وإن كانت متناقضة.
٣. مقابلة مضلّلة بين القراءة الحسّيّة والتلقّي الإيمانيّ، في محاولة لتبرير الكفر.
٤. دليل على اكتمال الحجّة القرآنيّة وبطلان منطق الاقتراح المعاند.
٥. تأكيد أنّ القرآن نفسه هو المعجزة المقروءة الكافية، وأنّ المشكلة في القلوب لا في الأدلّة.

وبذلك، يحوّل السياق القرآني طلبهم السطحيّ إلى درس عقديّ في حقيقة الكفر والإيمان، ويؤسّس لمبدأ أنّ الإيمان اختبار للقلب والعقل أمام الحجّة البيّنة، وليس استجابةً لمطالب مادّيّة تعجيزيّة.

خامساً: الدلالة على الإعجاز في نزول الوحي:

يتجلّى وجه من وجوه الإعجاز القرآنيّ في منهجيّة نزول الوحي، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾[1]، تكشف الآية الكريمة الحكمة الإلهيّة في التنزيل المتدرّج للقرآن الكريم، إذ يبيّن الله تعالى أنّ نزول القرآن لم يكن استجابة لأهواء المشركين ولا لمطالبهم المادّيّة، بل كان نزول القرآن الكريم تنزيلًا متدرّجًا، ليُقرَأ على الناس بترتيلٍ وتأنٍّ؛ ليرسخ في نفوسهم، وتُبنى العقيدة خطوة بعد أخرى، في حين اشترط الكفّار الإيمان على نزول الآيات المادّيّة؛ جعل الله الإيمان الحقّ ثمرة للتلقّي المتأنّي للوحي الإلهيّ.

يذكر مقاتل بن سلمان (ت١٥٠هـ) في تفسيره: "﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ**﴾ يعني قطعناه، أي: فرّقناه بين أوّله وآخره عشرون سنة تترى، لم ننزّله جملة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾[2]، وذلك ﴿**لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾، أي: على ترتيل للحفظة، ﴿**وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**﴾، أي: على تَرَسُّلٍ آياتٍ بعد

---

[1] سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

[2] سورة الفرقان: الآية ٣٢.

آيات"[1]، ويرى مقاتل في تفسيره لهذه الآية أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿**فَرَقْنَاهُ**﴾ هو التقطيع والتفريق في النزول، أي إنّ القرآن لم ينزل جملة واحدة كما طلب المشركون، بل نزل مفرّقًا على مدى عشرين سنة، ويُحيل في ذلك إلى الآية الأخرى من سورة الفرقان التي تكشف اعتراض الكفار: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾، ويُضيف مقاتل أنّ الحكمة من هذا التنزيل المفرّق هي أن يُقرَأ القرآن على الناس (على مكث)، أي: بتأنٍّ وترتيل، ليسهل على الحفظة تثبيته، وليكون وقعه على السامعين أقوى وأرسخ، ويؤكّد الطبريّ هذا المعنى قائلًا: "يعني بقوله ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ**﴾: وقرآناً فصّلناه، فأنزلناه مفرَّقًا بعضه في إثر بعض، ولم ننزّله جملة واحدة ... وقوله: ﴿**لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾ يقول: على تؤدة وترتيل"[2]، ويؤكّد على معنى (التفريق)، أي إنّ تنزيل القرآن الكريم كان مفَّرقًا، ويُبرز أنّ الحكمة من ذلك التنزيل المفرَّق هو ليتيسر قراءته على الناس بترتيل وتؤدة؛ فيكون أوضح في الحجّة، وأبلغ في التربية التدريجيّة للمجتمع المسلم، أمّا النحّاس(ت٣٣٨هـ) فيوضّح الغاية من هذا الأسلوب فيقول: "لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، أي: ليحفظوه ويفهموه"[3]، ومن قول النحّاس يتّضح أنّ الأولى أن يُقرَأ القرآن الكريم على الناس قراءة متأنيّة تساعدهم على الحفظ والفهم، وشرح الواحديّ الحكمة من هذا التنزيل المفرَّق إذ قال: "﴿**فَرَقْنَاهُ**﴾: أي: فصّلناه ونزلّناه نجومًا، ولم نجمعه في تنزيل واحد،

---

[1] تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان: ٥٥٥/٢.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ١١٤/١٥.

[3] إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس: ٢٨٦/٢.

ليتيسّر حفظه وفهمه، وقوله: ﴿**عَلَى مُكْثٍ**﴾، أي: على ترسّلٍ وتأنٍّ"[1]، ويشرح الواحديّ معنى التفريق بالتنزيل (نجومًا)، وهو تعبير شائع عند المفسّرين، ويُركّز على فائدة الحفظ والفهم التدريجيّ، وهو ما يشير إلى حكمة عقديّة مفادها أنّ الوحي جاء معالجًا للواقع خطوة بخطوة، أمّا الطباطبائيّ فيشير إلى أنّ هذا المنهج يحقّق أهدافًا تربويّةً عدّة، فقد قال في تفسيره لهذه الآية: "ففي جميع هذه الموارد وأشباهها تدرّجت الدعوة في إظهار الأحكام وإجرائها أخذًا بالإرفاق لحكمة الحفظ لسهولة التحميل وحسن التلقّي بالقبول"[2]، وهذا القول يبيّن أنّ نزول القرآن الكريم مفرَّقًا لم يكن مسألة شكليّة أو نزولًا عرضيًّا، بل جاء ضمن خطّة إلهيّة ونهج تربويّ مقصود، والهدف هو التربية التدريجيّة للمؤمنين.

وهذا المنهج الإلهيّ لنزول القرآن الكريم بالتدرّج لم يكن مجرّد أمر عارض، بل جاء ليحقّق أهدافًا تربويّةً منها:

١. تربية المؤمنين تاريخيًّا، بتلقّي الأحكام والعقائد بشكل متدرّج ليتناسب مع استعدادهم النفسيّ والعقليّ.

٢. من خلال التنزيل المتدرّج يمكن حفظ القرآن وفهمه.

٣. مواكبة الأحداث والواقع، ممّا يجعل القرآن حيًّا متفاعلًا مع واقع الناس.

٤. بناء العقيدة السليمة على أسس راسخة.

---

[1] الوسيط، الواحدي: ١٣٢/٣.

[2] الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي: ١٥٩/٤.

وبهذا يكون هذا المنهج الإلهيّ في التدرّج في التنزيل يشكّل دليلًا على الإعجاز التشريعيّ والتربويّ العقديّ في القرآن الكريم في آيات القراءة.

سادسًا: الإعجاز في استماع الجنّ للقرآن والإيمان به:

يُعدّ مشهد استماع الجنّ للقرآن الكريم مثالاً بارزًا للاستجابة الإيجابيّة للوحي الإلهيّ ودليلًا على الإعجاز القرآنيّ، ممّا يؤكّد عالميّة الرسالة الإسلاميّة، ويتجلّى هذا الإعجاز في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القرآن فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾[1]، ففي تفسير هذه الآية، يذكر الطبريّ: أنّ الله تعالى يُقرّع كفّار قريش بكفرهم، فيما آمنت به الجنّ، موضّحًا أنّ الله صرف هذا النفر من الجنّ إلى رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بسبب الحادث الكونيّ المتمثّل في رجم الجنّ بالشهب عند محاولتهم استراق السمع من السماء، ويشير إلى أنّ الجنّ، عندما حُرست السماء ومُنعوا من استراق السمع، أدركوا أنّ ذلك لا يكون إلّا لحدث جسيم على الأرض، فانطلقوا يبحثون عن سببه حتّى عثروا على النبيّ –صلى الله عليه وآله وسلّم– وهو يُصلّي بأصحابه صلاة الفجر عند نخلة، فاستمعوا لتلاوته القرآن، وما أن انتهى حتّى عادوا إلى قومهم محذّرين ومبشّرين[2]، ويُستدَلّ من هذا أنّ الحادثة هذه قد وقعت في مرحلة

---

[1] سورة الأحقاف: الآية ٢٩.

[2] ينظر: جامع البيان، الطبري: ١٦٣/٢١–١٦٥.

مبكّرة من البعثة النبويّة؛ عقب انقطاع الوحي السماويّ منذ زمن عيسى عليه السلام، ليكون إيمان الجنّ دليلًا ناطقًا على صدق الرسالة وشمولها، أمّا الطوسيّ، فقد ربط بين هذه الحادثة وسنّة الله تعالى في إقامة الحجّة على خلقه، فقال: "يقول الله تعالى على وجه القسم في خبره: إنّه مَكَّن هؤلاء الكفّار الذين أخبر عنهم بأنّه أهلكهم؛ من الطاعات ومن جميع ما أمرهم به، فجعلهم قادرين متمكّنين بنصب الدلالة على توحيده، ومكّنهم من النظر فيها، ورغّبهم في ذلك بما ضمن لهم من الثواب، وزجرهم عمّا يُستحَقّ به العقاب، ولطف لهم وأزاح عللهم في جميع ذلك؛ لأنّ التمكين عبارة عن فعل جميع ما لا يتمّ الفعل إلّا معه، ثمّ قال: ﴿**وجعلنا لهم سمعًا**﴾ يسمعون به الأدلّة، و﴿**أبصارًا**﴾ يشاهدون بها الآيات، و﴿**أفئدةً**﴾ يفكّرون بها ويعتبرون بالنظر فيها، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم"[1]، ويكشف هذا القول عن الدلالة العقديّة والتاريخيّة للآية، إذ يربط بين مسؤوليّة الإنسان في عصر النبوّة عن تلقّي الوحي، وبين سنّة الله في الأمم السابقة التي أُهلكَت بعد قيام الحجّة عليها، وفي تفسير القرطبيّ، نجد تأكيدًا على جانب التوبيخ الموجَّه إلى مشركي قريش، حيث يقول في تفسير هذه الآية: "أي إنّ الجن سمعوا القرآن فأمنوا به وعلموا أنه من عند الله وأنتم معرضون مصرون على الكفر، ومعنى "**صَرَفْنا**" وجهنا إليك وبعثنا، وذلك أنهم صرفوا عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب على ما يأتي ولم يكونوا بعر

---

[1] التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢٨٢/٩.

عيسى قد صرفوا عنه إلا عند مبعث النبي –صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم"[1]، وهكذا، يمثّل استماع الجنّ للقرآن واستجابتهم الفوريّة له مثالاً حيًّا على قوّة تأثير القرآن وعالميّة دعوته، حيث آمن به من كان بعيدًا عن مجتمع البشر، بينما أعرض عنه من خُوطب به مباشرة، ممّا يجعل منه حجّة دامغة على المعرضين.

إذن تشكل حادثة استماع الجنّ للقرآن مثالاً متكاملًا للدلالة العقديّة والإعجازيّة التي تثبت أنّ القرآن كلام الله تعالى، وأنّ رسالة الإسلام عالميّة، وأنّ الحجّة قد أُقيمت على أعلى مستوى، وقد وظّف المفسّرون هذه القصّة لتأكيد مسائل عقديّة كبرى مثل عموم الرسالة، وتمام الحجّة، وصدق النبيّ– صلّى الله عليه وآله وسلّم–، وعظمة القرآن، ممّا يجعلها حدثًا يؤكّد تفرّد القرآن وتأثيره الذي يتجاوز عالم الشهادة إلى عالم الغيب.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢١٠/١٦

الفصل الثاني

الدلالة التربويّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل

المبحث الأوّل: الدلالة على تزكية النفس والوعي الإيماني

المبحث الثاني: التدبّر في بناء الفكر والتقويم السلوكيّ

الفصل الثاني

الدلالة التربويّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل

يُعَدّ الجانب التربوي من أهم ما جاء به القرآن الكريم وتُعَدّ التربية من المقاصد العظمى لنزول الوحي، لأنّه لا يقتصر على الهداية العقديّة، بل يشمل بناء الشخصيّة المؤمنة الواعية القادرة على الإدراك والفهم والسلوك وفق المنهج الالهيّ، ومن تتبّع الآيات القرآنيّة (للقراءة والتلاوة والترتيل) تبيّن لنا أنّها لم تُستعمَل لمجرّد الدلالة اللُّغويّة، بل أسّست منهجاً تربوياً متكاملاً يُنمّي الوعي الإيمانيّ، ويزكّي النفس، ويُربّيها على التأمّل والتدبّر.

ومن هذا المنطلق، يتناول الفصل الدلالة التربويّة لهذه الألفاظ عبر تتبّع آيات تهذيب النفس وتنمية الوعي، مُبيّناً كيف يجعل القرآن من تلقّيه عمليّة تربويّة متكاملة تهدف إلى بناء الفرد والمجتمع الصالح.

التربية في اللُّغة: تبنى دلالة التربية في اللغة على الجذر (ربّ) الذي تدور معانيه حول القيام على الشيء وإصلاحه وقد تعدّدت أقوال وآراء العلماء لبيان الأصل الدلاليّ لهذا المفهوم.

فقد قال أبن فارس: "الراء والباء يدلُّ على أُصولٍ. فالأول إصلاح الشيء والقيامُ عليه فالرّبُّ: المالكُ، والخالقُ. والصَّاحب. والرّبُّ: المُصْلِح للشيء. يقال رَبَّ فلانٌ

ضَيعتَه، إذا قام على إصلاحها"[١]. ويستفاد من كلامه أن التربية في أصلها اللغوي تدور حول الرعاية المستمرة والإصلاح. أما ابن منظور فقد بين أن لفظة (الرَبّ) تحمل دلالات أوسع، فقال: "الرَّبُّ: هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه، وَلَهُ الرُّبوبيَّة عَلَى جَمِيعِ الخَلْق، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ رَبُّ الأَرْبابِ، ومالِكُ المُلوكِ والأَمْلاكِ. وَلَا يُقَالُ الربُّ فِي غَيرِ اللهِ، إِلّا بالإِضافةِ، قَالَ: وَيُقَالُ الرَّبُّ، بالأَلِف وَاللَّامِ، لغيرِ اللهِ"[٢]. فكلام أبن منظور يظهر أن لفظة (الرب) تحمل دلالات الرعاية والتدبر والسيادة، والتدبر ومنه أشتق معنى التربية؛ لأن المربي يقوم مقام (الرب) في الرعاية والإصلاح.

التربية في الاصطلاح: أما في الاصطلاح، فقد تعددت تعريفات التربية بتنوع زوايا النظر إليها. ومن التعريفات الجامعة ما ذكره الراغب الأصفهاني: "هي إنشاء الشيء حالاً إلى حد التمام"[٣]. ويتسع مفهوم التربية ليشمل (تغذية الجسم) وتربيته بما يحتاج إليه من مأكل ومشرب ليشّب قوياً معافى قادراً على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها. فتغذية الإنسان والوصول به إلى حد الكمال هو معنى التربية. "ويقصد بهذا المفهوم كلّ ما يُغذي في الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً

---

[١] مقاييس اللغة، لابن فارس: ٣٨١/٢ ، مادة (رب).

[٢] لسان العرب، ابن منظور: ٣٩٩/١ ، مادة (رب).

[٣]المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٣٣٦.

وعاطفة"[١]. وقد عرف الدكتور سعيد إسماعيل علي أحد أبرز أعلام التربية المعاصرين التربية بأنها: "هي عملية هادفة ومستمرة، تسعى إلى تشكيل شخصية الإنسان من جميع جوانبها: الجسمية، والعقلية، والروحية، والوجدانية، والاجتماعية، ليكون عضواً نافعاً في مجتمعه"[٢]

يتبين من هذا أن المفهوم التربوي في أصله اللغوي والاصطلاحي يقوم على (رعاية متكاملة) و(إصلاح مستمر) و(تغذية شاملة) للإنسان في جميع جوانبه، وهو ما يتجلى في المنهج القرآني التربوي من خلال الآيات التي وردت فيها أفعال (قرأ، تلا، رتل) التي تُعدّ أدوات للرعاية الإلهية لصلاح الإنسان.

---

[١] أصول الفكر التربوي في الإسلام، عباس محجوب: ١٥.

[٢] أصول التربية الإسلامية، سعيد أسماعيل علي: ١٧-١٩

المبحث الأوّل

الدلالة على تزكية النفس والوعي الإيماني

يتناول هذا المبحث الأبعاد الدلالية المتصلة بتزكية النفس وكيفية الوعي الإيماني من خلال التعامل الواعي مع القرآن الكريم، سواء بالقراءة أو الاستقبال أو التطبيق. ويوضح الطريقة التربوية التي تحتوي على التأني بتحضير النفس قبل قراءة القرآن، وتأكدها، وبعدها، ويهدف إلى تحقيق تأثير بارز، ويساعد على بناء الشعور بالخشوع، وترسيخ الإخلاص، وتعميق الاستجابة العملية لمضامين الوحي في السلوك والفكر.

أولاً: الدلالة التربوية على إعداد النفس لتلقي الوحي بالاستعاذة:

تمثّل الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قبل الشروع في تلاوة القرآن الكريم المدخل التربوي الأساسي في إعداد النفس لتلقي الوحي. فهي تجسّد المنهج القرآني في التربية الروحية الذي يهدف إلى تطهير القلب من الوساوس، وتهيئته لاستقبال كلام الله بخشوع وإخلاص وإنّ جوهر العبادة تكمن في الصلة بين العبد وربّه، ولا تثمر إلا إذا أديت في جو تملؤه الطمأنينة والخشوع، بعيدًا عن وسوسة الشيطان وتشويشه. ومن رحمة الله بالمؤمنين، أن عَلَّمَهُم وسائل التحصين الروحي التي تحفظهم من كيد الشيطان، وتجعل قلوبهم مهيأة للإنصات إلى كلام الله ﷻ والعمل به.

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ القرآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[١] حيث يربط القرآن بين فعل القراءة بمفهومها التربوي الشامل وبين الاستعاذة كمدخل ضروري للتفاعل الوجداني مع النص القرآني. عن النبي –صلّى الله عليه وآله وسلم– ، قال : " **أغلقوا أبواب المعصية بالاستعاذة وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية**"[٢]

أوضح المفسرون هذه العلاقة التربوية بين القراءة والاستعاذة فقد قال مقاتل: "يعني إبليس الملعون إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ ملك عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا في علم الله في الشرك فيضلهم عن الهدى"[٣] . ويُفهم من قوله أنّ الاستعاذة فيها وقاية للمؤمن من وسوسة الشيطان وتسلطه، وخاصة المؤمنون الذين ثبت إيمانهم في علم الله تعالى. وأكد أبو عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) البعد البلاغي التربوي في الآية بقوله: "مقدّم ومؤخّر، لأن الاستعاذة قبل القراءة"[٤] وهنا أشار إلى أنّ الاستعاذة وإن وردت في اللفظ بعد فعل القراءة، إلا أنّها مقصودة قبلها في التنفيذ. وبين الزجاج الحكمة التربوية في تقديم الاستعاذة تنفيذاً مع تأخيرها لفظاً قال: "معناه إذَا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ باللَّهِ من الشَيطَان الرجيم، ليس معناه استعذ باللَّهِ بعد أن تقرأ"[٥]. وأوضح السمرقندي أن هذا المنهج يشمل جميع أحوال التلاوة قال: "إذا أردت أن تقرأ القرآن في الصلاة وغير

---

[١] سورة النحل: الآية ٩٨.

[٢] الدعوات، قطب الدين الراوندي: الحديث رقم (١٣٠): ٥٢/١. مستدرك الوسائل، النوري: باب استحباب الابتداء بالبسملة ، مخلصاً لله مقبلاً بالقلب اليه ، في كلّ فعل صغيراً كان او كبيراً وكل ما يحزن صاحبه ، وكراهة ترك التسمية عند ذلك. الحديث رقم(٥٩٢٨): ٣٠٤/٥.

[٣] تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٧/٢

[٤] مجاز القرآن، أبو عبيدة: ٣٦٨/١.

[٥] معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٢١٨/٣.

الصلاة، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أي تعوذ بالله. وهذا كقولك: إذا أكلت فقل بسم الله، يعني: إذا أردت أن تأكل، وهذا مثل قوله إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ يعني: إذا أردتم القيام للصلاة"[1]

يتبين من هذا أن المنهج القرآني في التربية الإيمانية يجعل من الاستعاذة قبل التلاوة مدخلاً لما يأتي:

١. التهيئة النفسية والروحية لاستقبال الوحي لنبي محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم–.

٢. تطهير القلب من الشك والشبهات تجاه ما أنزل من القرآن الكريم.

٣. اعتراف الانسان بالحاجة الدائمة إلى الله والافتقار إليه.

٤. التحصين الروحي من وساوس الشيطان.

وهكذا تؤسّس الاستعاذة مدخلاً تربويّاً يؤدّي إلى تفاعل حقيقي مع النصّ القرآنيّ عبر القراءة الواعية والتلاوة الخاشعة.

ثانياً: أثر التلاوة في خشوع القلب وزيادة الإيمان:

تمثّل التلاوة في المنهج القرآني وسيلة تربويّة فعّالة في تنمية الجوانب الوجدانيّة والإيمانيّة، حيث يتحوّل الأثر الناتج عن تلاوة القرآن من مجرّد ترديد لفظيّ إلى حالة من الخشوع القلبيّ والزيادة في الإيمان.

---

[1] بحر العلوم، للسمرقندي: ٢٩١/٢.

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[1] قال الإمام الصادق عليه السلام: "« **من قرأ القرآن ولم يخضع لله ، ولم يرق قلبه ، ولا يكتسي حزنا ووجلا في سره ، فقد استهان بعظم شأن الله تعالى ، وخسر خسرانا مبينا ، فقاريء القرآن يحتاج الى ثلاثة اشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ، وموضع خال ، فإذا خشع لله قلبه ، فر منه الشيطان الرجيم** "[2]

أوضح المفسرون هذه العلاقة التربوية بين التلاوة وتزكية النفس:

فذكر الطبري أنّ: "المؤمنَ هو الذي إذا ذُكِر اللَّهُ وَجِلَ قلبه، وانقاد لأمره، وخضَع لذكره، خوفًا منه وفَرَقًا من عقابه، وإذا قُرِئ عليه آيات كتابه صدَّق بها"[3] . إذن المؤمن الحقيقي هو من تتأثر نفسه بذكر الله، فيخشع قلبه، ويزداد يقينه وإيمانه عند سماع آيات القرآن. وبين القرطبي الأبعاد التربوية للتلاوة فقال: "وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه"[4]. ويشير القرطبي هنا إلى أنّ صفات المؤمنين تشمل الخشوع والخوف من الله عند ذكره.

---

[1] سورة الأنفال: الآية ٢.

[2] مستدرك الوسائل، النوري، الباب الثالث، باب استحباب التفكر في معاني القرآن ، وامثاله ، ووعده ، ووعيده ، وما يقتضي الاعتبار والتأثر والاتعاظ ، وسؤال الجنة ، والاستعاذة من النار، عند آيتيهما: الحديث رقم: (٤٥٩٧): ٤/٢٤٠-٢٤١.

[3] جامع البيان عن تفسير آي القرآن، الطبري: ١١/٢٧.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٧/٣٦٥.

ويتضّح أنّ التلاوة في المنهج القرآنيّ تمثّل أداةً تربويّةً لما يأتي:

١. زيادة الوعي الإيمانيّ وذلك عن طريق التفاعل الوجدانيّ مع النصّ القرآنيّ.

٢. التربية الإيمانية عن طريق ترسيخ الخشوع القلبيّ.

٣. من ثمار التلاوة الواعية تعزيز التوكل على الله.

٤. زيادة العلم والعمل والاعتقاد.

إذن التلاوة كمفهوم تربوي متكامل يتفاعل مع النص القرآني، حتى يتحول من مجرد أداء لساني إلى عملية تربوية شاملة تُحدث أثراً إيمانياً في النفوس.

ثالثاً: الإصغاء للقرآن ونبذ اللهو والتحذير من الاستكبار:

تمثل التلاوة في المنهج القرآني محكاً لاستعداد النفس لتلقي الهداية، حيث يكشف رد الفعل تجاه آيات الله عن حالة القلب ومدى استعداده للانتفاع بالوحي. ويحذر القرآن من خُلق الاستكبار كأخطر العوائق التربوية التي تحول بين الإنسان وهداية التلاوة. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[١] حيث تُبين الآية كيف يحول الاستكبار دون الانتفاع من تلاوة الآيات رغم سماعها.

[١] سورة لقمان: الآية ٧

أوضح المفسرون الآثار التربويّة للاستكبار على تلقي الوحي:

فذكر الزمخشري في تفسيره: " وَلَّى مُسْتَكْبِراً: زاماً* لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا: تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً أي: ثقلا ولا وقر فيهما"[1]. وأَكد الرازيّ على البعد التربويّ في رفض الاستكبار فقال: "يشتري الحديث الباطل ، والحق الصراح يأتيه مجاناً يُعرض عنه، وإذا نظرت فيه فهمت حُسن هذا الكلام مِنْ حيث إنّ المشتري يطلب المشتري مع أنه يطلبه ببدل الثمن، ومن يأتيه الشيء لا يطلبه ولا يبذل شيئاً، ثم إنّ الواجب أنّ يطلب العاقل الحكمة بأي شيء يجده ويشتريها، وهم كانوا يطلبونها، وإذا جاءتهم مجاناً ما كانوا يسمعونها"[2] وبيّن الخازن الحالة النفسية للمستكبر فقال: " ﴿**وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً**﴾، أي لا يعبأ بها ولا يرفع لها رأسا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً أي ثقلا ولا وقر فيهما ﴿**فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيم**﴾"[3]. أي يسمع آيات الله تتلى وكانه لا يسمعها من شدة الاستكبار فهؤلاء لهم عذاب اليم.

---

[1] الكشاف، للزمخشري: ٤٩٢/٣.

* زاما (زم بأنفه، أي: تكبر، فهو زام): تاج العروس، محمّد مرتضى الزبيدي: ٣٢/ ٣٠٣، مادة (زام).

[2] مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ١١٦/٢٥.

[3] لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: ٣٩٧/٣.

ويقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾[1]

يعرف الطبريّ موقف المشركين أنّهم يقولون ما هذا القرآن الذي يُتلى عليهم إلا أساطير الأولين إنّما عنى المشركون بقوله: "إنْ هذا القرآن الذي تتلُوه علينا يا محمّد إلا ما سطَّره الأوّلون وكتَبوه من أخبارِ الأممِ. كأنهم أضافوه إلى أنّه أُخِذ عن بني آدمَ، وأنّه لم يُوحِه اللهُ إليه"[2]. ويُحللُ الزمخشريّ الدوافع النفسيّة الكامنة وراء موقف الكفار فيذكر حيث قال: "لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا نفاجةٌ* منهم وصَلَفٌ** تَحتَ الرَّاعِدَةِ، فإنهم لم يَتَوانَوا في مَشيئتِهم لو ساعَدَتْهم الاستطاعة، وإلا فما مَنَعَهم إن كانوا مُستطيعين أن يَشاؤوا غَلَبَةَ مَن تَحَدَّاهُم وقَرَعَهُم بالعجز، حتى يَفوزوا بالقِدحِ المُعَلّى دُونَه، مع فَرْطِ أنَفَتِهم واستِنكافِهم أن يُغلَبوا في بابِ البيانِ خاصّةً"[3]، وهذا النصّ يُبَيِّنُ استكبار المشركين وكيفية عدم استجابتهم للقرآن ويُبَيِّنُ المرحلة التي مرّت بها الدعوة الإسلامية وكيف واجه النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، قومه بمعجزة القرآن الكريم، وقول المشركين بأنهم قادرون على قول مثله، لكنهم عجزوا عن ذلك. ويؤكد ابن كثير على طبيعة الادعاء الباطل لدى المشركين فيقول: "يخبر

---

[1] سورة الأنفال: الآية ٣١.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: ١٤٢/١١.

[3] الكشاف، الزمخشري: ٢١٦/٢.

*«نفاجة» صاحب فخر وكِبرٍ: لسان العرب، لابن منظور: ٣٨٢/٢. فصل النون

**«صلف تحت الرّاعدة»، يقال ذلك لمن يُكثِر كلامه و يَمدح نفسَه و لا خير عنده. مقاييس اللغة لابن فارس: ٤١١/٢.

تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم، ودعواهم الباطل عند سماع آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون: ﴿**قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا**﴾ وهذا منهم قول لا فعل، وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلا. وإنّما هذا قول منهم يَغُرّون به أنفسهم ومن اتبعهم على باطلهم"[1] . في نصّ ابن كثير تتجلى فيه تحديات كفار قريش وإنكارهم معجزة القرآن وما جاء به النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– في بدايات الدعوة الإسلامية بمكة. ويحدد الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) الشخصية المحورية في هذا الموقف بقوله: "﴿**وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا**﴾ التي لو أنزلناها على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴿**قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا**﴾ قائله النضر بن الحرث من بني عبد الدار على ما عليه جمهور المفسرين وكان يختلف إلى أرض فارس والحيرة فيسمع أخبارهم عن رستم، واسفنديار وكبار العجم وكان يمر باليهود والنصارى فيسمع منهم التوراة والإنجيل، وإسناد القول إلى ضمير الجمع من إسناد فعل البعض إلى الكُلَّ لما أن اللعين كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويعملون برأيه"[2] فأوضح الألوسي أن الذي نطق بهذه المقولة المستهزئة هو النضر بن الحارث، وهو أحد زعماء قريش ومن أشد المعاندين للنبي –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، وكان كثير السفر إلى بلاد فارس والحيرة، يسمع من العجم قصص أبطالهم مثل رستم وإسفنديار، كما كان

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٤٦/٤.

[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: ١٨٦/١.

يختلط بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فيسمع منهم ما في التوراة والإنجيل. فلما سمع القرآن، لم يره وحياً من عند الله، بل ادّعى أن ما جاء به النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– لا يختلف عما سمعه من القصص والأساطير، فقال مستكبراً: "قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا". وأسند الفعل إلى الجمع؛ لأن قومه كانوا يتبعون رأيه ويوافقونه في القول والعمل، فكأنهم جميعاً شاركوا في هذا الافتراء.

يتضح من خلال هذه النصوص التفسيرية أنّ الموقف النقديّ للمشركين تميّز بمجموعة من السمات الرئيسة:

١. إنكار المصدر الإلهيّ للقرآن.

٢. الادّعاء بالقدرة على معارضته مع العجز العمليّ عن ذلك.

٣. الاستناد إلى حجج تاريخيّة مزعومة، مع وجود قيادات فكريّة مثل النضر بن الحارث الذي استخدم معرفته بالثقافات المجاورة في محاولة لنزع الصبغة الإعجازيّة عن القرآن الكريم.

وكذلك نجد أيضاً أنَّ القرآن يصور الحالة النفسيّة للمشركين واستكبارهم عند سماعهم آيات الله تعالى، في قوله: ﴿ **قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ**﴾[1]

[1] سورة المؤمنون: الآية ٦٦.

يشرح الطبري هذه الحالة بقوله: "عن مجاهد، في قول الله: (تَنْكِصُونَ) قال: تستأخرون. وقوله: ﴿**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ**﴾ يقول: مستكبرين بحرم الله، يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد، لأنّا أهل الحرم"[١]. ويوضح الطُبرسي والقُرطبيّ بقُولهما قوله تعالى: "﴿ **قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ**﴾ أي تقرأ «**فَكُنْتُمْ**» أيها الكافرون المعذبون ﴿**فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ**﴾ أي تدبرون و تستأخرون و ترجعون القهقرى مكذِّبين ﴿**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ**﴾ أي متكبّرين على سائر الناس بالحرم أو بالبلد يعني مكّة"[٢]. ويكشف ابن عاشور البعد الدلالي لهذه الآية قائلاً: "وتقْييد الآيات بوصْف البينات لتفضيع إنكارها، والخطاب في قوله: "تعرف لكل من يصلح للخطاب" بالمراد بالذين يتلون عليهم آياتنا، أي المشركون الذين يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطان"[٣]. وهذا القول يحدد موقف المشركين الذين كانوا يسمعون القرآن ويعاندون، مما يعكس رفضهم المتعمد للحق.

وفي آية أخرى يبرز القرآن الموقف بالتعبير نفسه في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾[٤]

يشرح الرازي قوله تعالى: "﴿ **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾ ثم إنكم كنتم تُكذّبون بها مع وضوحها، فلا جرم صرتم مستحقّين لما أنتم فيه من العذاب الأليم. قالت

---

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: ٥٢/١٩.

[٢] مجمع البيان، الطبرسي : ٧/ ١٧٩. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٣٦/١٢.

[٣] التحرير والتنوير، لأبن عاشور: ١٧ /٣٣٥.

[٤] سورة المؤمنون: الآية ١٠٥.

المعتزلة: الآية تدلّ على أنهم إنما وقعوا في ذلك العذاب لسوء أفعالهم، ولو كان فعل العباد بخلق الله تعالى لما صحّ ذلك"[1]. وهذا توضيح بأن الآية تظهر وضوح الحجة على الكافرين، إذ آيات الله تتلى عليهم ببيان لا لبس فيه لكنهم قابلوها بالتكذيب فاستحقوا العذاب. وبين ابن عاشور الجانب البلاغي في الآية قائلاً: "جملةُ ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ مقولُ قولٍ محذوف، أي يُقال لهم يومئذٍ، والآياتُ هي آياتُ القرآن بقرينة قوله ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ وقوله ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، والتلاوةُ القراءة، والاستفهامُ إنكارٌ "[2]

إذن تظهر هذه النصوص التفسيرية وحدة الموقف للمشركين من آيات القرآن، حيث يجمعون بين السماع والإدراك من جهة، والإنكار والصدود من جهة أخرى، مما يكشف عن طبيعة الرفض المتعمد للحق رغم وضوح البراهين وقوّة الحجج.

يتجلى موقف الاستكبار لدى المشركين في عدد من الآيات القرآنية التي تصور حالهم عند سماع آيات الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[3] وكذلك قوله تعالى: ﴿ **يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ**

---

[1] مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٣/٢٩٦.

[2] التحرير والتنوير، لأبن عاشور: ١٨/١٢٧.

[3] سورة لقمان: الآية ٧.

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] تُظهر هذه النصوص القرآنية استمرار النمط السلوكي نفسه الذي تميز به المشركون، حيث يجمعون بين السماع الحسي للآيات والإعراض العملي عنها، مصحوباً بالاستكبار والعناد.

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾[2]

قال الطبري: "ولو نَزَّلْنا هذا القرآن العربيَّ على بهيمةٍ مِن العَجَمِ أو بعضِ ما لا يُفْصِحُ. ولم يَقُلْ: ولو نزَّلناه أعجميًّا. فيكونُ تأويلُ الكلامِ ما قالَه. وقولُه: ﴿**فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ**﴾. يقولُ: فقرَأ هذا القرآن على كفارِ قومِك يا محمّد، الذين حَتَمْتُ عليهم ألَّا يؤمِنوا – ذلك الأعجمُ: ﴿**مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾"[3]يرى الطبري أن الله سبحانه وتعالى لو أنزل القرآن على شخص أعجمي اللسان، فقراه بلغته الأعجمية على كفار قريش، لما آمنوا به، فهذا الكلام هو تسلية الله لنبيه محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– ودليلاً على استكبار المشركين. وقال البغوي: " ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان، فقرأهُ عليهم، بغير لغة العرب، ما كانوا به مؤمنين"[4]. وقال القاسميّ(ت ١٣٣٢ هـ): "أي ولو نزلناه بنظمه البديع على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية، فقرأه عليهم قراءة فصيحة، انفتق لسانه بها، خرقا للعادة، لكفروا به كما

---

[1] سورة الجاثية: الآية ٨.

[2] سورة الشعراء: الآيات ١٩٨– ١٩٩.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٦٤٦/١٧.

[4] معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: ٤٧٩/٣.

كفروا. ولتمحّلوا لجحودهم عذرا"[1]. وابن عاشور قال: " وقد أظهر الله بُهتانهم في هذه الآية وقد أظهر الله بهتَانهم في هذه الآية بأنهم إنما قالوا ذلك حيث جاءهم بالقرآن رسول عربي، وأنه لو جاءهم بهذا القرآن رسول أعجمي لا يعرف العربية بأن أوحى الله بهذه الألفاظ إلى رسول لا يفهمها ولا يحسن تأليفها فقرأه عليهم، وفي قراءته وهو لا يحسن اللغة أيضاً خَارق عادة لو كان ذلك لما آمنوا بأنه رسول مع أن ذلك خارق للعادة فزيادة قوله: عليهم زيادة بيان في خرق العادة. يعني أن المشركين لا يريدون ممَّا يلقونه من المطاعن البحث عن الحق ولكنَّهم أصرُّوا على التَّكذيب وطفقوا يتحملون أعذاراً لتكذيبهم جحوداً للحقّ وتستراً من اللائمين"[2]. وقال محمّد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ): "الضمير يعود على القرآن الكريم، لو نزله الله على بعض الأعجمين الذين لا يعرفون العربية لكان أعجميا بغير العربية، فقرأه عليهم بالأعجمية ما فهموه وما آمنوا به، واستمر عدم إيمانهم به، وتقديم الجار والمجرور (به) على متعلّقه لبيان أهمية عدم الإيمان، وإنّ عدم الإيمان لسببين: أولهما أنه جاء من رجل أجنبي عنهم، ومن نعم الله أن كان الرسول منهم، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[3]. الثاني أنه لَا ينزل عليهم بالعربية فلا يفهمون كما قال تعالى: ﴿"**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**

---

[1] محاسن التأويل، محمد جمال القاسمي: ٤٧٦/٧.

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٩٣/١.

[3] سورة التوبة: الآية ١٢٨.

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ"[1]﴾"[2].

يتّضح أنّ الآية الكريمة قد جاءت في سياق التسلية للنبي –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، وتأكيدًا على أنّ اصرار وعناد المشركين ليس مرتبطًا بهوية القارئ أو لغته، وإنما هو نتيجة استكبار وجحود متأصل في نفوسهم، سبق به العلم الإلهي.

ويتبين من خلال هذه التفاسير أن المنهج القرآني في التربية الإيمانية يشدد على:

١. تحذير المؤمنين من خُلُق الاستكبار كعائق رئيسي أمام الانتفاع بالتلاوة.

٢. بيان الآثار النفسية للاستكبار في إغلاق منافذ الفهم والتدبر.

٣. تربية المؤمن على التواضع العلمي كشرط أساسي للانتفاع بالوحي.

٤. تعزيز قيمة الإصغاء الواعي كأساس للتفاعل مع النص القرآني.

وهكذا يؤسس القرآن لمنهج تربوي متكامل في التعامل مع التلاوة، يجمع بين الحث على الانتفاع بالآيات وتحذير المؤمنين من الآفات النفسية التي تحول دون ذلك.

---

[1] سورة فصلت:الآية ٤٤.

[2] زهرة التفاسير، محمد أبي زهرة: ٥٤١٠/١٠.

رابعاً: الإخلاص والصدق في التلاوة والعمل بمقتضاها:

تمثل التلاوة الحقّة في المنهج القرآني أسمى مراتب التفاعل مع الوحي، حيث تتحول من مجرد ترديد ألفاظ إلى منهج حياة متكامل يجمع بين العلم والعمل.

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[1] عن الإمام الصادق عليه السلام: "**يرتلون آياته، ويتفهمون معانيه، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعده، ويخشون عذابه، ويتمثلون قصصه، ويعتبرون أمثاله، ويأتون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ما هو والله بحفظ آياته وسرد حروفه، وتلاوة سوره ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده**، وإنما هو تدبر آياته يقول الله تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**[2] ﴾"[3]

وضح المفسرون الأبعاد التربوية للتلاوة الحقّة، فذكر الطبريّ : "فأخْبَر اللهُ جلَّ ثناؤه أنّ المؤمنَ بالتوراةِ هو المُتَّبِعُ ما فيها مِن حلالِها وحرامِها، والعاملُ بما فيها مِن فرائضِ اللهِ التي فرَضها فيها على أهلِها"[4] ويشير الطبريّ إلى أن حق تلاوة القرآن لا يقتصر على النطق بالكلمات أو التلاوة الصوتية فقط، بل يشمل الفهم والعمل وفق ما جاء به القرآن. وأكد الزمخشري على ضرورة الصدق في التلاوة فقال: "الَّذِينَ

---

[1] سورة البقرة: الآية ١٢١.

[2] سورة ص: الآية ٢٩.

[3] ميزان الحكمة، محمد محمدي الريشهري: ٢٥٢٦/٣.

[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: ٤٩٥/٢

آتَيْناهُمُ الْكِتابَ هم مؤمنون أهل الكتاب يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله –صل الله عليه [وآله] وسلم– أولئِكَ يؤْمنون بكتابهم دون المحرفين وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ من المحرفين فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ حيث اشتروا الضلالة بالهدى"[1] المقصود من قول الزمخشري هم من أهل الكتاب الذين قرأوا كتابهم قراءة صحيحة خالية من التحريف، وصدقوا بما جاء فيه من نعت النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، لأنّهم آمنوا بالحق، بخلاف المحرفين الذين غيّروا وبدّلوا.

وبيّن الرازي شمولية مفهوم التلاوة فقال: فالتلاوة لها معنيان: أحدهما: القراءة. الثاني: الاتباع فعلاً... والذين تأولوه على القراءة هم الذين اختلفوا على وجوه. فأولها: أنهم تدبروه فعملوا بموجبه حتى تمسكوا بأحكامه من حلال وحرام وغيرها. وثانيها: أنهم خضعوا عند تلاوته، وخشعوا إذا قرؤوا القرآن في صلاتهم وخلواتهم[2]. وأوضح القرطبي البعد العملي للتلاوة فقال: "وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَى ﴿**يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ**﴾ فقيل: يتبعونه حق اتباعه، باتباع الأمر والنهي، فيحللون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بما تضمنه."[3]. يوضح القرطبيّ أن حق التلاوة لا يقتصر على القراءة فقط، بل يشمل اتباع الأحكام والعمل بما جاء في الكتاب مثل: اتباع الأمر والنهي، تحليل الحلال وتحريم الحرام بمعنى الالتزام بما أحلّه الله وما حرّمه. أما الطباطبائيّ قال: "المراد بالذين أوتوا الكتاب قوم من اليهود والنصارى ليسوا متبعين للهوى من أهل

---

[1] الكشاف: للزمخشري: ١٨٣/١.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٣٠/٤.

[3] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٩٥/٢.

الحق منهم، وبالكتاب التوراة والإنجيل، وأن كان المراد بهم المؤمنين برسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلّم– وبالكتاب القرآن، لا هؤلاء المتبعون لأهوائهم، فالقصر حينئذ قصر قلب"[1]. الطباطبائيّ يوضح أنّ عبارة "الذين أوتوا الكتاب" تشمل: أهل الكتاب الحقيقيين: من اليهود والنصارى الذين لا يتبعون أهواءهم، والتمييز بين الحق والهوى: ليس كل من أتى بالكتاب من أهل الكتاب صالحًا، بل من اتّبع الحق ولم يضلّ بأهوائه. أما المؤمنون المقصود بهم الذين أمنوا بالرسول –صلّى الله عليه وآله وسلّم– يشير إلى أنّ المراد في الآيات قد يشمل المؤمنين برسول الله وبالقرآن، أي الذين يلتزمون بالهدى الحقيقي، وليس من يتبع أهواءه في دينه.

تبين من أقوال المفسرين أنّ منهج القرآن يقوم بما يأتي:

١. ربط التلاوة بالعمل كأساس للتربية الإيمانية.

٢. الجمع بين الفهم والتطبيق في التعامل مع النص القرآني.

٣. تحقيق الإخلاص في التلاوة بتجسيد المعاني في السلوك.

٤. التحذير من الفصل بين العلم والعمل.

وهكذا تؤسس التلاوة الحقّة في المنهج القرآني لمنهج تربوي متكامل، ينتقل بالمؤمن من دائرة المعرفة إلى فضاء التطبيق، ومن عالم الأقوال إلى عالم الأفعال.

---

[1] الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/ ٢٦٦.

خامساً: النزول المفرق للقرآن حكمته وأثره في النفس:

إنّ من وجوه الحكمة من نزول القرآن مفرقًا على قلب النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– هو ارتباط ذلك بتربيته وتثبيته، وبتدرج الدعوة.

ويعد نزول القرآن الكريم مفرقاً على قلب النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– طوال فترة الدعوة الإسلامية أي عبر ثلاثة وعشرين سنة من الظواهر الأساسية في تاريخي الوحي لتربية النفس، وقد اتخذ الكفار من هذه الظاهرة مدخلاً للطعن في القرآن، فجاء في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾[1] فجاء الرد الإلهي حاسماً ومبيناً الحكمة الجليلة من هذا النزول المفرق حيث قال تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ فنزول القرآن لم يكن نزول عشوائياً، بل كان مقصوداً لحكم عظيمة، أولها تثبيت فؤاد النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، كما يُبيّن الطبري في تفسيره: "وقال الذين كفَروا بالله: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ**﴾. يقولُ: هلّا نُزِّل على محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– القرآن جُملةً واحدةً، كما أُنزلِت التوراةُ على موسى جملةً واحدةً؟ قال اللهُ: ﴿**كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾. تنزيلُه عليك الآيةَ بعدَ الآيةِ، والشيءَ بعدَ الشيءِ؛ لنُثَبِّتَ به فؤادَك نزَّلناه"[2] الآية تبرز العلاقة الوثيقة بين الوحي والتاريخ، إذ نزل القرآن وفق مقتضيات المرحلة التاريخية للدعوة الإسلامية، ليواجه التحديات الواقعية

---

[1] سورة الفرقان: الآية ٣٢.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: ٤٤٥/١٧.

للمجتمع المكي والمدني، ويؤسس لمنهج تدريجي في التربية والتشريع. ومن هنا يظهر البعد التربوي في الترتيل، بوصفه أسلوبًا إلهيًا متدرجًا يواكب الحدث ويصنع التاريخ الديني للأمة.

والحكمة الإلهية تمتد لتحقيق منهج الترتيل في التنزيل، وهو الذي يربط النص القرآني بالواقع التاريخي ارتباطاً وثيقاً. فالنزول المفرق جعل القرآن يسير متوازياً مع مسيرة الدعوة، ينزل بحسب الوقائع ويجيب عن الأسئلة، ويواكب المستجدات. يقول ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ): "فالإشارة إلى نزوله متفرقة وجعل الله تعالى السبب في نزوله متفرقا تثبيت فؤاد محمّد عليه السلام وليحفظه، وقال مكي القيسي والرماني من حيث كان أميا لا يكتب وليطابق الأسباب المؤقتة فنزل في نيف على عشرين سنة، وكان غيره من الرسل يكتب فنزل إليه جملة"[١] فالنص القرآني بهذا المنظور ليس مجرد كلام مُنَزَّل، بل هو وحي يتفاعل مع التاريخ، ويُشكّل الوعي، ويبني الأمة.

ويُبرز البيضاوي أبعاداً أخرى لهذا النزول المفرق فيقول: "كذلك أنزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه، لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان عليه الصلاة والسلام أمياً وكانوا يكتبون، فلو ألقي عليه جملة لعيل بحفظه، ولعله لم يستتب له فإن التلقّف لا يتأتّى إلا شيئاً فشيئاً، ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى، ولأنه إذا نزل منجماً وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه، ولأنه إذا نزل به جبريل حالاً بعد حال

[١] المحرر الوجيز، أبن عطية الأندلسي: ٤/٢١٠.

يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية، فإنه يعين على البلاغة" [١] يُبرز البيضاوي في تفسيره بُعدًا تاريخيًا ولغويًا عميقًا في نزول القرآن المفرّق، موضحًا أن هذا التدرج لم يكن مجرد أسلوب في الوحي، بل ضرورة تاريخية وتربوية تتناسب مع طبيعة النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– ظروف الدعوة. فالرسول كان أميًّا لا يكتب، مما يجعل من التلقّي التدريجي للوحي وسيلة لتيسير الحفظ والتدبر، وهو ما يعكس عناية الله بتثبيت فؤاد النبيّ في خضم الصراع الدعوي والفكري. ويؤكد ابن كثير هذا المنحى التاريخيّ في التلقي فيقول: "هلّا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله، كالتوراة والإنجيل والزبور، وغيرها من الكتب الإلهية. فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به كما قال: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا**﴾[٢] ولهذا قال: ﴿**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا**﴾. قال قتادة: وبيناه تبيينا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: وفسرناه تفسيرا"[٣] في تفسير ابن كثير دلالة واضحة على أن نزول القرآن عبر الزمان كان أسلوبًا تاريخيًا مقصودًا لإعداد الأمة تدريجيًا، ولترسيخ الإيمان في واقع متغير، لا مجرد أسلوب في تبليغ الوحي. وهنا يبرز التساؤل: إذا كان النزول المفرق يحمل هذه

---

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ١٢٣/٤.

[٢] سورة الاسراء: الآية ١٦.

[٣] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ١٠٩/٦.

الحكم الجليلة، فهل يعني ذلك أن في القرآن مشقة على النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– أو على الأمة؟ جاءت الإجابة في قوله تعالى: ﴿ **مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القرآن لِتَشْقَىٰ**﴾[1]. فالنزول المفرق لم يكن لغرض الإتعاب، بل كان تيسيراً ورفقاً. يبين الطبري هذا المعنى فيقول: "تأويلُ الكلامِ: يا رجلُ، ما أنْزَلْنا عليك القرآن لتَشْقَى بإنزالِناه عليك، فنكلِّفَك ما لا طاقةَ لك به مِن العملِ. وذُكِر أنه قيل له ذلك بسببِ ما كان يَلْقَى مِن النَّصَبِ والعَناءِ والسَّهرِ في قيامِ الليلِ... وقال مجاهد رحمه الله: في الصلاةِ. هي مِثلُ قولِه: ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾، فكانوا يُعلِّقون الحبالَ بصدُورِهم في الصلاةِ... وقال قتادة رحمه الله: لا واللهِ ما جعَله اللهُ شقاءً، ولكن جعَله رحمةً ونورًا ودليلًا إلى الجنةِ" [2]. أوضح الطبري أن الآية خوطب بها النبيّ –صلّى الله عليه [وآله] وسلّم– تلطّفًا وتخفيفًا لما كان يعانيه من طول العبادة والسهر، فالمقصود من إنزال القرآن ليس المشقة، بل الرحمة والهداية والتيسير على المؤمنين. فالآية تُزيح أي توهم بأن المشقة مقصودة من الإنزال، وتؤكد أن القرآن إنما نزل رحمة وهدى. قال الطوسي: "حكى أن الكفار، قالوا " لولا " أي: هلّا " نزل عليه القرآن " على النبيّ " جملة واحدة " فقيل لهم إن التوراة انزلت جملة، لأنها أنزلت مكتوبة على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى، واما القرآن، فإنما انزل متفرقا، لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي، وهو محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– وقيل: إنّما لم ينزل جملة

---

[1] سورة طه: الآية ٢.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ١٦/٨-٩.

واحدة، لأنّ فيه الناسخ والمنسوخ، وفيه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، وفيه ما هو إنكار لما كان. وفي الجملة المصلحة معتبرة في إنزال القرآن، فاذا كانت المصلحة تقتضي إنزاله متفرقا كيف ينزل جملة واحدة!؟ فقال الله تعالى لنبيه –صلّى الله عليه وآله وسلّم– إنّا أنزلناه متفرقا لنثبت به فؤادك. وقال أبو عبيدة: معناه لنطيب به نفسك ونشجعك. وقوله ﴿**ورتلّناه ترتيلاً**﴾ فالترتيل التبيين في تثبت وترسل. وقوله ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق**﴾ أي لم ننزل القرآن جملة واحدة لأنهم لا يأتونك بشيء"[1] فالغاية من الوحي التذكير والهداية لا المشقة. ويتجه الزمخشري في تفسيره إلى معنى آخر للشقاء فيقول: "وقرئ: ما نزل عليك القرآن لِتَشْقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ**﴾ والشقاء يجيء في معنى التعب"[2]. فالشقاء هنا هو ذلك الألم النفسي الذي كان ينتاب النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– من جراء إعراض قومه، فجاء القرآن مواسي ومخففاً عنه هذا العبء النفسي، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ**﴾، فالشقاء هنا بمعنى الحزن والتعب النفسي. ويقول الطبرسي: "هو جواب للمشركين حين قالوا إنّه شقي، فقال سبحانه يا رجل ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾ لكن لتسعد به، وتنال الكرامة به في الدنيا والآخرة. قال قتادة رحمه الله: وكان يصلي الليل كله، ويعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم، فأمره الله سبحانه بأن يخفف على

---

[1] التبيان، الطوسي: ٤٨٨/٧.

[2] الكشاف، الزمخشري: ٥٠/٣.

نفسه، وذكر أنه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب. ﴿**إلا تذكرة لمن يخشى**﴾ قال المبرد(ت ٢٨٥هـ): "معناه لكن أنزلناه تذكرة"[١] أي لتذكرة من يخشى الله ، إن الآية جاءت ردًّا على المشركين الذين وصفوا النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بالشقاء، فبيّن الله أنه لا يُنزِّل عليه القرآن ليشقَى، بل ليكون سببًا للكرامة في الدنيا والآخرة. وذكر قتادة أنّ النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– كان يطيل قيام الليل حتى يتعب، فأمره الله بالتخفيف. كما أوضح المبرد أنّ معنى الآية: أنزلناه تذكرةً لمن يخشى الله، لا تعبًا ولا عناءً.

فالربط بين الآيتين يظهر تكاملاً عجيباً في المنهج الإلهي: فالنزول المفرق في سورة الفرقان جاء لتحقيق حكم عظيمة منها التثبيت والتربية التدريجية، بينما جاءت آية طه لتبيّن أن هذا النزول لم يكن مقصوداً به المشقة على النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، بل كان تيسيراً وتخفيفاً. فالنزول المفرق –رغم ما قد يبدو فيه من تدرج قد يُوهِم بالمشقة– كان في حقيقية أمره تثبيتاً للفؤاد، وتيسيراً للحفظ، وتدرجاً في التشريع، ومواكبة للواقع، وكلها حكم تخدم الهدف الأسمى من الوحي: وهو أن يكون القرآن تذكرة للبشرية، ونوراً وهدى، لا شقاءً وعناء.

---

[١] المقتضب: محمد بن يزيد المبرد، ٣٩٢/٤.

المبحث الثاني

التدبّر في بناء الفكر والتقويم السلوكيّ

يكتشف هذا المبحث كيف يؤثر التأمل في تنمية فهمنا للمفاهيم الفكرية وتحسين سلوكنا كأفراد من خلال التفاعل الفعال مع الرسالة الواردة في القرآن الكريم. ويؤكد الباحث، على وجه الخصوص، على أهمية التفكر والتدبر في القرآن الكريم لتنمية الشعور بالرهبة والخشوع، وللوصول إلى فهم أعمق له. كما يسلط الضوء على أهمية الوحي الإلهي كمصدر للهداية في طلب العلم، وعلى الطريقة المثلى لذلك، مما يتيح لنا تحقيق التوازن بين فهم المعرفة القائم على التفكير النقدي والالتزام الجاد بأساليب اكتساب المعرفة من خلال هذا التفكير

أوّلاً: والتفكّر والتذكّر هو طريق التيسير في الأساليب القرآنيّة:

يُولي المنهج القرآني عناية فائقة لتربية الإنسان على والتفكر والتذكر، "فالأمر يتعلّق بكتاب الله العزيز، قراءةً وفهماً، وتطبيقاً وتدبّراً وعملاً بقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[1]. انطلاقاً بوصفها آليتين أساسيتين في بناء الوعي واستقامة السلوك. ولا يقتصر مفهوم التذكير في القرآن على مجرد استرجاع المعلومات، بل يتعداه ليكون عملية تربوية شاملة تهدف إلى تهذيب النفوس، وتقويم الاعوجاج الفكري والسلوكي لدى الإنسان، وإيقاظ القلب من سبات الغفلة. وقد اتخذ

[1] سورة محمد: الآية ٢٤.

القرآن من تنوع الأساليب وضرب الأمثال وسيلة بالغة التأثير لتحقيق هذه الغاية التربوية السامية. عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد ، عن بعض أصحابنا، عن علي بن أبي حمزة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال له أبو بصيرة: كان أصحاب محمد –صل الله عليه واله وسلم– يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل، **أن القرآن لا يقرأ هذرمة* ولكن يرتل ترتيلا فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فاسأل الله الجنّة ، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوّذ بالله من النار**"[1] . علي بن إبراهيم، **عن أبيه، وعلي بن محمد، جميعاً، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داوّد، عن حفص بن غياث، عن الزّهري قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنُ فَكُلَّمَا فَتَحْتَ خِزَانَةً يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا**"[2].

يُبرز القرآن الكريم حقيقة نفسية وتربوية بالغة الأهمية، وهي أن أثر التذكير يتفاوت بحسب استعداد النفس وقابلية القلب. فبينما يكون التذكير سبباً في هداية المؤمنين، فإنه قد يزيد المعاندين نفوراً، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا القرآن لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا**﴾[3]

يُفسر الطبري "التصريف: "يقولُ تعالى ذكرُه: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا**﴾ لهؤلاء المشركين المفترِين على اللَّهِ ﴿**فِي هَذَا الْقُرْآنِ**﴾ العِبَرَ والآياتِ والحججَ، وضرَبنا لهم فيه

---

[1] الكافي، الشيخ الكليني، كتاب فضل القرآن، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، الحديث رقم (٢): ٦١٧/٢. وينظر: وسائل الشيعة ، للحر العاملي: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن، باب استحباب المسألة عند آية الرحمة، والتعوذ عند آية النقمة: الحديث رقم: (٧٧٥٥): ٢٠٩/٦.

[2] الكافي ، الشيخ الكليني، كتاب فضائل القرآن، باب في قراءته، الحديث رقم: (٢) : ٦٠٩/٢.

[3] سورة الإسراء: الآية ٤١

الأمثالَ، وحذَّرناهم فيه وأنذرناهم ﴿**لِيَذَّكَّرُوا**﴾"[1] ويبيّن تنوّع العبر والحجج والأمثال التي يضربها القرآن؛ وذلك كي يتذكّر الناس فيعقلوا خطئهم ويقلعوا عنه. فالتصريف هنا هو أسلوب تربوي يراعي اختلاف العقول والمستويات، ويهدف إلى إيصال الحقائق بأكثر من صورة لتحقيق الفهم والوعي. ويؤكد الواحدي هذا المنحى التربوي فيقول: "أي: صرّفنا ضروب القول فِيهِ من الأمثال وغيرها ممّا يوجب الاعتبار به، ومعنى التصريف ههنا التبيين، لأنّه إنّما يصرف القول ليبيّن"[2] ، فيرى أنّ (تصريف القول) يعني تبيينه وتوضيحه عبر ضروب مختلفة من الأمثال وغيرها، مما يوجب الاعتبار. والغاية من هذا التنوع هي حثّ الإنسان على التدبّر بعقله والتفكّر في آيات الله. أمّا الطبرسي فقال في تفسير قوله تعالى: "﴿**ولقد صرّفنا**﴾ أي: كرّرنا الدلائل، وفصّلنا المعاني، والأمثال، وغير ذلك ممّا يوجب الاعتبار به ﴿ **فِي هَٰذَا القرآن لِيَذَّكَّرُوا**﴾ أي: ليتفكّروا فيها، فيعلموا الحقّ"[3] فيرى في (التصريف) تكراراً للدلائل وتفصيلاً للمعاني والأمثال، مما يهيّئ الفرصة للإنسان ليتفكر فيها فيعلم الحقّ. وهذا يبرز أنّ التكرار والتنوع في العرض القرآنيّ ليسا مجرّد إعادة، بل هما أسلوب مقصود لترسيخ المعنى في النفس وتثبيته في القلب. ومن المنظور التربوي الحديث، قال سيد قطب (ت ١٣٨٦ هـ): "جاء القرآن بالتوحيد، وسلك لتقرير هذه العقيدة طرقًا وأساليب متعددة «**لِيَذَّكَّرُوا**». فالتوحيد يحتاج إلى التذكر والرجوع إلى الفطرة والآيات الكونية،

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ١٤/٦٠٢-٦٠٣.

[2] الوسيط ، الواحدي: ٣/١٠٨.

[3] مجمع البيان، الطبرسي : ٦/٢٥٤

لكنهم يزيدون نفورًا كلما سمعوا هذا القرآن، نفورًا من العقيدة ومن القرآن ذاته، خشية أن يغلبهم على عقائدهم الباطلة"[1]. يوضح أن القرآن قدّم عقيدة التوحيد عبر طرق وأساليب متعددة لتحقيق "التذكر" والرجوع إلى الفطرة السليمة والآيات الكونية. وهذا التنوع يسهل استيعاب العقيدة ويجعلها حيّة في النفس. إلا أنّ هذا الأسلوب التربويّ المتعدد لا يجدي مع النفوس التي أصرت على العناد، فتنفر من القرآن ذاته خشية أن يغلبها على عقائدها الباطلة

لضمان شمولية التربية واستيعاب مختلف العقول والنفوس، يؤكّد القرآن على تنوع الأمثال فيه، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا القرآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾[2]، أي "ولقد مثَّلْنا في هذا القرآن للنَّاسِ مِن كلِّ مثَلٍ، ووعَظْناهم فيه مِن كلِّ عِظَةٍ، واحتَجَجْنا عليهم بكلِّ حُجَّةٍ ليتذكَّروا فيُنِيبُوا، ويَعْتَبِروا فيَتَّعِظوا "[3] هذا التصريف يشمل ضرب كُلَ مثل، وعرض كل عظة، وإيراد كُلَ حجّة؛ بهدف تحقيق الإنابة والاتعاظ. وهذا يعكس سِمَة الرحمة في المنهج التربويّ القرآنيّ، حيث لا يترك القرآن سبيلاً للهداية إلا وسلكه. ويشير البغويّ إلى أنَّ هذا التنوع وسيلة لتحريك ملكة التذكر والاعتبار في الإنسان، مما يؤسس لمنهج تربويّ يقوم على تنويع الأساليب لتقويم الفكر والإدراك. بقوله:" ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنا**﴾، بَيَّنَّا، ﴿**فِي هذَا القرآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾، أَيْ لِيَتَذَكَّرُوا وَيَتَّعِظُوا، ﴿**وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ**

---

[1] في ظلال القران، سيد قطب: ٤ /٢٢٣٠

[2] سورة الكهف: الآية ٥٤.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٢٢٩/١٥.

شَيْءٍ جَدَلًا﴾، خُصُومَةً فِي الْبَاطِلِ"[1]. غير أن هذا الجهد التربويّ الهائل يصطدم بطبيعة الإنسان المجادلة، يرى ابن كثير، أنَّ الإنسان يبقى كثير المجادلة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من وفقه الله وبصره طريق الرشاد. وهذا يسلط الضوء على أن البيان الواضح والأسلوب المتنوع، رغم كمالهما، لا يغنيان عن توفيق الله وهدايته، وأن الجدل العقيم قد يكون حاجزاً نفسياً أمام قبول الحقّ. قال ابن كثير: "بَيَّنَ اللهُ للناس في هذا القرآن وأوضح لهم سبل الهدى، ومع هذا البيان فالإنسان كثير المجادلة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة"[2].

ويكمل القرآن رسم معالم منهجه التربويّ عبر التأكيد على شمولية ضرب الأمثال، كما في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا القرآن مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ**﴾[3]

فالوظيفة التربويّة للأمثال القرآنيّة التي ذُكرت بوصفها وسيلة للإقناع العقليّ وتنبيه الإنسان إلى وحدانية الله، إلا أنّ موقف الكافرين القائم على الجحود يُظهر إصرارًا نفسيًا على رفض الحقّ رغم وضوح البرهان. قال الطبريّ: "مثل الله للناس في هذا القرآن كل مثل، ليحتج عليهم وينبههم على توحيده، ومع ذلك إذا جاءهم النبيّ بآية تدل على صدقه، قال الكافرون: إن أنتم إلا مبطلون"[4] وقد:" وَصَفَ اللهُ للناس كُلَ

---

[1] معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٠٠.

[2] تفسير القرآن العظيم: أبن كثير: ١٧١/٥.

[3] سورة الروم : الآية ٥٨.

[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٥٢٨/١٨.

صفة مثل غرابتها، وقص عليهم كل قصة عجيبة عن المبعوثين يوم القيامة، ومع ذلك إذا جاءهم بآية من القرآن قالوا: جئتنا بزور وباطل"[١] أن القرآن وصف للناس (كل صفة مثل غرابتها) وقص عليهم (كل قصة عجيبة)، وهذا التنوع العجيب يهدف إلى إثارة الانتباه وتحفيز التفكير. لكن الطبيعة البشرية القاسية قد تحول دون الاستفادة من هذه الأمثال، فتقابل الحق بالرفض. اما القرطبي قال: "أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه، وينبههم على التوحيد وصدق الرسل. ولئن جئتهم بآية أي معجزة كفلق البحر والعصا وغيرهما، ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون، أي تتبعون الباطل والسحر"[٢]. القرطبي يرى في ضرب الأمثال وسيلة تربوية لإرشاد الناس إلى التوحيد وصدق الرسل، مستخدماً الآيات المعجزة كأدلة قاطعة. ومع ذلك، يبقى رفض الكفار لهذه الأدلة دليلاً على أن التربية الناجحة مشروطة بقلب منفتح ونفس مستعدة للفهم والاستدلال.

وتتجلى الدلالة التربويّة البارزة في أنّ التكرار والتنّوع في عرض الأمثال القرآنية ليسا أسلوبين بلاغيين فحسب، بل هما منهج تربوي متكامل. يهدف هذا المنهج إلى تثبيت المعاني في النفوس، ومراعاة اختلاف القدرات العقلية والمستويات الإدراكية، واستنفاد جميع السبل المؤدية إلى الهداية.

---

[١] الكشاف، الزمخشري: ٤٨٨/٣.

[٢] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : ٤٩/١٤

غير أن هذا المنهج المتقن يضع الإنسان أمام مسؤوليته الشخصية؛ فقبول التربية القرآنية واستيعابها مشروط بطهارة القلب واستعداد النفس. فالنفور والجدال والإنكار ليست نقصاً في الأسلوب القرآني، بل هي مؤشرات على عوائق نفسية وأخلاقية تعترض سبيل التربية. ومن هنا، فإن التربية القرآنية تجمع بين إتقان العرض والبيان، وبين التذكير الدائم بحرية الإنسان ومسؤوليته تجاه ما يعرض عليه من هدى.

ثانياً: الخشوع والخضوع لله تعالى عن طريق تصور عظمة القرآن:

تمثل الآية الكريمة: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا القرآن عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]. بيان عظمة القرآن الكريم وتأثيره الروحي، حيث تُستعمل الصورة الحسية للجبل لتعزيز الاستجابة الوجدانية المطلوبة من الإنسان تجاه كلام الله تعالى.

وفي هذا الصدد، يذكر التستري (ت ٢٨٣ هـ): "وقد أنزلته على قلوبهم حفظا وعليكم أمرا، فلم يؤثر حمله فيكم لحفظي إياكم ولطفي ونظري إليكم"[2]. البعد التربوي في هذه الآية وبهذا السياق يقوم على إرساء صورة مقارنة بين قلوب المؤمنين والجبال الراسخة، بوصفها رمزًا للقوة والثبات. فقد أشار التستري إلى أن اليقين بالنسبة لقلوب العارفين يؤدي وظيفة تماثل ما تؤديه الجبال في تثبيت الأرض،

---

[1] سورة الحشر: الآية ٢١.

[2] تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله التُستري: ٥٧.

غير أن هذه القلوب بما تحظى به من رعاية إلهية ولطف رباني استطاعت أن تحتمل من أعباء الخطاب الإلهي ما لا تطيقه الجبال على ما فيها من صلابة وعظمة. ويكشف هذا التصوير عن سمو المرتبة الإيمانية للقلوب المؤمنة حين تستقر فيها معاني الوحي واليقين.

وقد أوضح الزجاج الدلالة اللُّغويّة والبلاغيّة للآية من خلال إبراز عظمة القرآن وأثره بقوله: "أعلم اللَّه عزَّ وجلَّ أنّ من شأن القرآن وعظمته وبيانه أنه لو جُعِلَ في الجبل تمييز كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع وتصدَّع من خشية اللَّه ومعنى خشع تطأطأ وخضع، ومعنى تصدَّع تشققَ"[1]. وبَيَّنَ أنّ الآية تسعى إلى تعظيم شأن القرآن الكريم من خلال تصوير أثره في الجماد. ويؤكد أن القلوب البشرية، حين تتلقى القرآن بتدبر وتفكر، تكون أولى بالخشية والخضوع من الجبال الصمّ. ويكمل الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، توضيح البعد التربويّ للآية فيقول: "إن الله تعالى ضربه مثلاً للكفار أنه إذا نزل هذا القرآن على جبل خشع لوعده وتصدع لوعيده , وأنتم أيها المقهروون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده."[2] فيظهر الماوردي أن المثل ضربه الله تعالى للكافرين الذين قهروا بإعجاز القرآن، ومع ذلك لم يستجيبوا لوعده ووعيده، بينما الجبل لو أنزل عليه لاستجاب استجابة كاملة تجمع بين الخشوع للوعد والتصدع من الوعيد.

---

[1] معاني القرآن وأعرابه، للزجاج: ١٥٠/٥.

[2] النكت والعيون، للماوردي: ٥١٢/٥.

وهكذا يتجلى الأثر التربويّ للآية في تحفيز المؤمن على مراجعة حاله مع القرآن، ومقارنة استجابته باستجابة الجبل المفترضة، مما يولد لديه الشعور بالخجل من تقصيره، والرغبة في تعزيز خشوعه وخضوعه لله تعالى، وهذا من أعظم ما يغرسه القرآن في نفس قارئه وسامعه.

إنّ القراءة والفهم يؤديان إلى الخشوع والتزكية هو جوهر المشروع التربوي القرآني، الذي يهدف إلى بناء الشخصية المتكاملة (عقلاً وقلباً وسلوكاً) والتي تستجيب لكلام الله كما يستجيب الكون كله لأمره.

ثالثاً: القرآن وسيلة للشفاء الروحيّ والهداية:

يُعرِّف القرآن الكريم نفسه بوصفه منهجاً شاملاً للتربية الروحيّة والإصلاح النفسي، حيث يوضح الآثار التربوية المتباينة لتفاعل البشر مع النص القرآنيّ، فيكون وسيلة للشفاء والرحمة لأهل الإيمان، وعامل زيادة في الخسارة للمعرضين عنه. ويتمثل هذا المنهج في هذا السياق قول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[1]

قال الطبريّ: " يقول تعالى ذكره: الله الذي بعث في الأميين رسولا منهم، فقوله هو كناية من اسم الله، والأميون: هم العرب. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال:

[1] سورة الجمعة : الآية ٢.

ثنا سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ**﴾ قال كان هذا الحيّ من العرب أمة أمِّيَّة، ليس فيها كتاب يقرءونه، فبعث الله نبيه محمّدا رحمة وهُدى يهديهم به"[١]. الخطاب موجه للعرب الذين لم يكن لهم كتاب سماوي يتلونه أو يعرفون الكتابة بشكل عامّ. قال الطوسيّ قال: " قوله (رسولا) مفعول (بعث) و (منهم) يعني من سميتهم الاميين ومن جملتهم (يتلو عليهم) أي يقرأ عليهم (آياته) أي حججه وبيناته من القرآن وغيرها (ويزكيهم) أي ويطهرهم من دنس الشرك بما يهدبهم إلى الايمان فيجعلهم أزكياء"[٢]. يتفق الطوسيّ مع السياق العام بأنهم القوم الذين لم يكونوا من أهل الكتاب. وقال الزمخشريّ: " ﴿**يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ**﴾ يقرؤها عليهم بوصفه أمّيا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم، وقراءة أمى بغير تعلم آية بينة وَيُزَكِّيهِمْ ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ القرآن والسنة"[٣]. يبرز الزمخشري المعجزة في كون النبيّ الأمي يتلو القرآن.

وقال الرازي: "وقوله تعالى: ﴿**يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ**﴾ أي بيناته التي تبين رسالته وتظهر نبوته، ولا يبعد أن تكون الآيات هي الآيات التي تظهر منها الأحكام الشرعية، والتي يتميز بها الحق من الباطل ويزكيهم أي يطهرهم من خبث الشرك، وخبث ما عداه من الأقوال والأفعال، وعند البعض يزكيهم أي يصلحهم، يعني يدعوهم إلى اتباع يعني يدعوهم إلى ابتاع ما يصيرون به أزكياء أتقياء ويعلمهم

---

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٣٧٣/٢٣.

[٢] التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٤/١٠,

[٣] الكشاف، للزمخشري: ٥٣٠/٤.

الكتاب والحكمة "[1]. يؤكد الرازي أن هذه الآيات هي بينات تبيّن رسالته وتظهر نبوته، وقد تكون أيضاً الآيات التي تستنبط منها الأحكام الشرعية. وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿**يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ**﴾ يَعْنِي القرآن ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ أي يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان، قاله ابن عباس. وقيل: يطهرهم من دنس الكفر والذنوب، قاله ابن جريج ومقاتل. وقال السدي: يأخذ زكاة أموالهم (ويعلمهم الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) السنة، قاله الحسن. وقال ابن عباس: الكتاب الخط بالقلم، لأن الخط فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط. وقال مالك بن أنس: الحكمة الفقه في الدين "[2]. هناك اتفاق جوهري بين المفسرين على أن الآية تُبرز نعمة الله العظيمة في بعثة رسوله من بين قوم أميين ليخرجهم من الضلال إلى الهدى، عبر منهج ثلاثي: التبليغ (العقيدة)، والتزكية (الروح والأخلاق)، والتعليم (الشريعة والعلم).

وجاء في قوله تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾[3]

ففي تفسير هذه الآية، يذكر الطبري: " يقولُ تعالى ذكرُه: ونُنزّلُ عليك يا محمّد من القرآن ما هو شفاءٌ يُسْتشْفَى به من الجهلِ من الضلالةِ، ويُبَصَّرُ به من العَمى – للمؤمنين، ورحمةٌ لهم دونَ الكافرين به؛ لأنَّ المؤمنين يَعْمَلون بما فيه مِن فرائضِ اللَّهِ، ويُحلُّون حَلالَه، ويُحرّمون حرامَه، فيُدْخِلُهم بذلك الجنةَ، ويُنْجيهم من

---

[1] مفاتيح الغيب للرازي: ٥٣٨/٣٠,

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩٢/١٨.

[3] سورة الأسراء: الآية ٨٢.

عذابِه، فهو لهم رحمةٌ ونعمةٌ من اللَّهِ أنعَم بها عليهم "[1] يُظهر هذا التفسير البعد التربوي للقرآن في معالجة أمراض القلوب المعرفية، حيث يعمل القرآن كمنهج علاجي يشفي من داء الجهل والضلالة، ويكسب المؤمن بصيرة تمكِّنه من تمييز الحق من الباطل. ويربط الطبري بين العمل بالقرآن وتحقيق السعادة الآخروية، مما يعكس الأثر التربوي العملي للقرآن في حياة المؤمن. أما السمرقندي فيوسع دائرة الدلالة التربوية للآية فيقول: " قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾، أي بيان من العمى، ويقال: شفاء للبدن، إذا قرئ على المريض يبرأ، أو يهون عليه. وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، أي ونعمة من العذاب لمن آمن بالقرآن. وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ، أي المشركين ما نزل من القرآن إِلَّا خَساراً أي تخسيراً وغبنا"[2] . يتضح في طرح السمرقندي اتساع مفهوم الشفاء في القرآن الكريم، إذ لا يقتصر على الجانب الجسدي، بل يتجاوز ذلك ليشمل شفاء القلوب من العمى المعنوي، وهو ما يدل على شمولية المنهج القرآني في معالجته للإنسان بوصفه وحدة متكاملة جسدًا وروحًا يتضح في طرح السمرقندي اتساع مفهوم الشفاء في القرآن الكريم، إذ لا يقتصر على الجانب الجسدي، بل يتجاوز ذلك ليشمل شفاء القلوب من العمى المعنوي، وهو ما يدل على شمولية المنهج القرآني في معالجته للإنسان بوصفه وحدة متكاملة جسدًا وروحًا، وهكذا تتجلى الدلالة التربوية في ثنائية التعامل مع القرآن:

---

[1] جامع البيان، الطبري: ١٥/٦٢-٦٣.

[2] بحر العلوم، للسمرقندي: ٢/٣٢٦.

فالمؤمنون يجدون فيه الشفاء من أمراضهم الروحية والفكرية، والرحمة في الدنيا والآخرة، بينما يجد الظالمون نتيجة إعراضهم واستكبارهم أنّ القرآن يزيدهم خساراً وحسرة، مما يكشف عن سنة إلهية في اختلاف الآثار لاختلاف القلوب واستعداداتها.

وفي قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ...**﴾[1] حيث يدل الفعل "أُنْزِلَ" على المصدر الإلهي للقرآن الكريم. يوضح أبو جعفر الطبري في بيان هذه الدلالة: " قولُه: ﴿**الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾. فإنه ذُكِر أنه نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، في ليلة القدر من شهر رمضان، ثم أُنزِل إلى محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، على ما أراد اللهُ إنزالَه إليه"[2]. ويذكر ابن عباس في معنى قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي**﴾ هُو الذي ﴿**أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ جبريل بالقرآن جملة إلى السماء الدنيا فأملاه على السفرة ثمَّ نزل به بعد ذَلِك على محمّد –صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم– يوماً بيوم آية وآيتين وثلاثاً وسورة ﴿**هُدًى لِّلنَّاسِ**﴾ القرآن بيان من الضلالة للنَّاس ﴿**وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهدى**﴾ واضحات من أَمر الدّين ﴿**وَالْفرْقَان**﴾ الْحلال والحرام والأحكام والحدود والخروج من الشبهات "[3]. يعني أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في السماء الدنيا، ثم أنزل به جبريل على رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم– نجوماً نجوماً، أي الآية والآيتين في أوقات مختلفة أنزل عليه في إحدى

---

[1] سورة البقرة : الآية ١٨٥.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٤٤٥/٣.

[3] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: جمعه الفيروز آبادي: ٢٥.

وعشرين سنة. ويؤكد السمرقندي هذه الآلية في النزول بقوله : "أنزل القرآن جملة واحدة على جبريل في ليلة القدر. قال ابن جريج: كان ينزل من القرآن في ليلة القدر كل شيء ينزل في تلك السنة. فينزل ذلك من السماء السابعة على جبريل في السماء الدنيا، ولا ينزل جبريل من ذلك على محمّد –صلى الله عليه [واله] وسلم– إلا كلما أمر به تعالى. قوله عز وجل: ﴿**هُدىً لِلنَّاسِ**﴾ أي القرآن هدى للناس من الضلالة وبياناً لهم. ﴿**وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى**﴾، يعني بيان الحلال والحرام ﴿**وَالْفُرْقانِ**﴾، أي المخرج من الشبهات"[1] . وهذا يبين الوظيفة الدلالية للقرآن بوصفه بالفرقان وهذا يؤكد أن القرآن يحمل دلالة التميز بين الحق والباطل.

تمثل سورة النمل امتدادًا لدلالات الوحي والإعجاز التي أشارت إليها السور السابقة، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ **طس تِلْكَ آيَاتُ القرآن وَكِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[2] لتؤكد الحقيقة الجوهرية نفسها في سياق تاريخي جديد.

إنّ الآيات التي بيناها قد ركزت على كيفية نزول القرآن وهدايته للبشرية، يقول أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية: "أنَّ هذه الآياتِ التي أنزَلتُها إليك يا محمّد، لآياتُ القرآنِ، وآياتُ ﴿**كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾، يبين لمن تدَبَّره وفكّر فيه بفهم، أنه من عند الله، أنزله إليك، لم تتخرصْه أنت ولم تتقوله، ولا أحد سواك من خلق اللهِ؛ لأنه لا

---

[1] بحر العلوم، السمرقندي: ١/١٢٢.

[2] سورة النمل: الآية ١.

يقدر أحد من الخلْق أن يأتي بمثله"[١] تتجلى الدلالة التاريخية في أن هذا النص القرآني نزل في مرحلة حساسة من تاريخ الدعوة، حين كانت الاتهامات والاعتراضات تتوالى من مشركي قريش لتشويه مصدر الوحي. تشكل الحروف المقطعة "طس" مدخلًا مهمًا لفهم خصوصية السورة، حيث يذكر البغوي عن ابن عباس في تفسيرها: "هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد سبق الكلام في حروف الهجاء. ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ**﴾ أَي: هذه آيات القرآن، ﴿**وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾ أَي: وآيات كتاب مبين"[٢]. تكشف الآية عن دلالة تاريخية عميقة. يقول الطوسي في بيان هذا البعد: "وقال قوم "طس" اسم من أسماء القرآن، وقوله "تلك" إشارة إلى ما وعدوا بمجيئه من القرآن، والقرآن والكتاب معناهما واحد، ووصفه بالوصفين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة والكتابة، ووصفه بأنه مبين أي مظهر للحق، وحكمه الموعظة بما فيها من الترغيب والترهيب وأحكام الشريعة التي فيها مكارم الأخلاق"[٣]. فالدلالة التاريخية تكمن في أن الآية تمثل إعلانًا تأسيسيًّا لبداية عهد جديد من الوحي الإلهي الذي يجمع بين البيان المقروء والمكتوب، في مواجهة الخطاب الجاهلي الذي أنكر الوحي وادّعى أنه أسطورة.

من خلال تحليل الدلالات القرآنية في سورتي البقرة والنمل، يتضح أن القرآن الكريم قد نص على كونه وحيًا إلهيًا من خلال التصريح بنزوله من الله تعالى،

---

[١] جامع البيان، الطبري: ٥/١٨.

[٢] معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: ٤٨٩/٣.

[٣] التبيان، الطوسي: ٨ / ٧٣-٧٤.

والإشارة إلى وسائط النزول، وبيان وظيفته كهادي وفرقان. وقد شكلت هذه الدلالات أساسًا متينًا للاعتقاد بكون القرآن كلام الله تعالى المنزل غير المخلوق.

يمثل القرآن الكريم من خلال هذا التحليل مشروعاً تربوياً شاملاً لإنقاذ الإنسان من حالة الضياع الضلال المبين إلى حالة الكمال الإنساني التزكية والتعليم. وهذا المنهج التكاملي (العقيدة – التزكية – الشريعة) هو ما يميز التربية القرآنية، حيث لا ينفصل إصلاح الاعتقاد عن تطهير القلب، ولا ينفصل أيّهما عن تنظيم السلوك وفق منهج الله.

وهكذا تتجلى الدلالة التربوية في ثنائية التعامل مع القرآن: فالمؤمنون يجدون فيه الشفاء من أمراضهم الروحية والفكرية، والرحمة في الدنيا والآخرة، بينما يجد الظالمون نتيجة إعراضهم واستكبارهم أن القرآن يزيدهم خساراً وحسرة، مما يكشف عن سنة إلهية في اختلاف الآثار لاختلاف القلوب واستعداداتها.

رابعاً: طلب العلم والارتقاء في مدارج المعرفة:

تمثل الآية الكريمة: ﴿ **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[1] التأسيس لمنهج تربوي متكامل في تلقي العلم ونقله، يجمع بين الدقة في الفهم والتأني في النقل والتواضع في الطلب.

[1] سورة طه: الآية ١١٤.

ففي بيان المراد من النهي عن التعجل، يوضح الطبري أن الخطاب موجه للنبي –صلّى الله عليه وآله وسلّم– فيقول: "ولا تعجل يا محمّد بالقرآن فتقرأه على أصحابك قبل أن يُبيّن لك بيان معانيه. فلا تُملّيه على أحد قبل أن نُتمَّه لك ونبيّنه لك، ليُفهَم معناه ويُعمل به بالشكل الصحيح. فالتحذير من التعجيل جاء ليضمن التفقه في الحكم والفهم قبل التعليم، حتى يكون نقل القرآن مبنيًا على العلم الكامل وليس على الظن"[١]. ويبين هذا التوجيه التربوي عن الأصلِ المنهجي المهم في التعامل مع العلوم الشرعية، يتمثل الضرورة في التثبت والتحقق قبل الإقدام على تعليم الغير، إذ إن سلامة نقل العلم لا تتحقق إلا بعد الفهم الدقيق واليقين بصحة المعلومة, ويكمل الطبرسي توضيح هذه المعاني فيقول: "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه، أي: لا تسرع في تلاوته قبل أن يفرغ الملك من إبلاغه لتفهم ما يوحى إليك، ولا تقرأه لأصحابك قبل أن يتبين لك معانيه، ويُراعى وقت النزول بحسب المصلحة والحاجة"[٢] فيظهر الطبرسي أن التدرج في تلقي الوحي يحقق غايتين تربويتين: الأولى ضمان الفهم الكامل للمعاني قبل تبليغها، والثانية مراعاة ظروف المتلقيين وحاجاتهم، مما يجعل العملية التعليمية أكثر تأثيراً وفاعلية. أما الطوسي فيعدد وجوه التفسير للآية فيذكر: " اى لا تسأل إنزاله قبل ان يأتيك وحيه. وقيل: معناه لا تلقه إلى الناس قبل ان يأتيك بيان تأويله. وقيل: لا تعجل بتلاوته قبل

---

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ١٧٩/١٦.

[٢] مجمع البيان، الطبرسي: ٥٩/٧–٦٠.

ان يفرغ جبرائيل من ادائه اليك"[1]. فيجمع الطوسي بين ثلاثة أبعاد تربوية: الأول الصبر على تلقي العلم دون استعجال، والثاني عدم التسرع في نقله قبل استيعابه، والثالث التأكد من اكتمال التلقي قبل الأداء، مما يشكل منظومة متكاملة لضمان جودة العملية التعليمية.

وبهذا يتضح أنّ المنهج التربويّ القرآنيّ يقوم على ترسيخ قيم التأنّي والدقّة في تلقّي العلم، والعمق في استيعابه، والأمانة في نقله، مع التواضع في طلبه، ممّا يضمن بناء معرفة صحيحة وتحقيق الارتقاء الفكريّ والروحيّ للمتعلِّم.

خامساً: آداب تلقّي العلم بين الاستعجال والاتّباع:

جاءت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٧ۖ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾"[2] تأكيداً على أنّ مسؤولية جمع القرآن صدر الرسول محمّد – صلّى الله عليه وآله وسلّم–، وتيسير قراءته وحفظه، هي مسؤولية يتكفل بها الله سبحانه وتعالى.

وقد تناول المفسرون هذه الآية بالشرح، فتعددت آراؤهم المتكاملة في الغالب حول معاني "الجمع" و"القراءة" و"الاتّباع"، ليقدموا لنا من خلال هذا الموقف النبوي دروسًا عميقة في آداب التعلم والتعليم.

---

[1] التبيان، الطوسي: ٧/٢١٢-٢١٣.

[2] سورة القيامة: الآيات ١٧-١٨.

قال ابن عباس: "جمعه حفظه فِي قَلْبك ﴿**وَقُرْآنَهُ**﴾ وحفظ قراءة جبريل عليك ويقال تأليفه بالحلال والْحرام ،﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاه**ُ﴾ قَرَأَهُ جبْريل عليْك ﴿ **فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾ فاقرأ أنت يا محمد خلفه ويقال إذا ألفناه بالحلال والحرام فَاتبع تأليفه"[1]. تدل على إن الله هو تكفل بجمع القرآن ، وتيسير قراءته وحفظه للنبي محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– وكذلك ترتيبه سواء في موضوعاته أو معانيه أو ألفاظه . ﴿ **فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾ بمعنى استمع لقراءة جبريل عليه السلام ولا تعجل بها ، ثم بعد ذلك اقرأه كما أُنزل إليك . وقال مقاتل في قوله تعالى: "﴿**إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ في قلبك يا محمّد وَقُرْآنَهُ حتى نقريك حتى تعلمه وتحفظه في قلبك ﴿**فَإِذا قَرَأْناهُ**﴾ يقول فإذا تلوناه عليك يقول إذا تلا عليك جبريل ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾يقول فاتبع ما فيه، وذلك أن جبريل كان يأتي إلى النبيّ– صلى الله عليه [واله] وسلم– بالوحي فإذا قرأه عليه، تلاه النبيّ– صلى الله عليه [واله] وسلم– قبل أن يفرغ جبريل من الوحي مخافة أن لا يحفظه فقال الله– تعالى– ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ** ﴾بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام"[2]. وذهب مقاتل بن سلمان إن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بجمع القرآن في قلب النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– وتلاوته عليه عن طريق الوحي جبريل وأمره أن يستمع له ويتبعه دون أي استعجال؛ خشية أن ينساه. وقال ابن قتيبة: "﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ أي ضمَّه جمْعَه. ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ**﴾ أي جمعناهُ. ﴿**فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾

---

[1] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه الفيروز آبادي: ٤٩٤

[2] تفسير مقاتل بن سليمان : ٥١٢/٤.

أي جَمْعه"[١]. يرى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) أن "القراءة" "والجمع" هما التمكين في الصدر فاتبع قرآنه أي أعمل بما فيه من الحلال والحرام. (القرآن) مصدر، ويعني به ما جُمع وأُنزل من الأحكام . ذكر الطبري في تفسيره إن المراد في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ أي اذا انزلنا أليك القرآن عن طريق جبريل أو أذا قرأه عليك ،﴿**فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾ بمعنى : استمع إلى قراءته دون أن تقاطعه أو تكرر الكلام بعده على وجه العجلة ، خشية النسيان.[٢] وقال الزجاج: أَي إِن علينا أن نقرئُك فلا تنسى، وعلينا تلاوته عليك . وقوله تعالى :﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ أي لا تعجل بالتلاوة إلى أن تقرأ عليك مَا يُنْزَلُ فِي وَقْتِهِ"[٣]. نجد أن الزجاج يركز على أن النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– كان يتعجل بقراءته بعد جبريل عليه السلام خوفاً من النسيان ، فطمأنه الله عز وجل بأن عليه الاستماع فقط ، والله يتولى القراءة عليه وجمعه في صدره، وهذا يدل على أنّ القراءة هنا ليست مجرد قراءة من نص مكتوب، بل القراءة هنا قراءة سمعية، تلقينيّة.

---

[١] غريب القرآن، ابن قتيبة: ٥٠٠.

[٢] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٢٣/٥٠٠-٥٠٢.

[٣] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٥/٢٥٣.

الفصل الثالث

الدلالة التشريعيّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل

المبحث الأول: الدلالة التشريعيّة للترتيل والتلاوة في بناء الفرد وتنظيم العبادة

المبحث الثاني: الدلالة التشريعيّة للتلاوة والقراءة في بناء المجتمع وتماسكه

الفصل الثالث

الدلالة التشريعيّة لآيات القراءة والتلاوة والترتيل

تمثّل الآيات القرآنيّة منظومة دلاليّة متكاملة، تجمع بين البلاغة والإعجاز، والتشريع والهداية. وتأتي ألفاظ آيات القراءة، والتلاوة، والترتيل، في صميم هذه المنظومة ولا سيما ألفاظ هذه المعاني، حيث لم ترد في السياق القرآني مجرد ألفاظ لعملية النطق بالكلام، بل تحولت إلى مفاهيم تشريعية تحمل أبعاداً تكليفية ومنهجية.

وإذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على تشريعات تنظم حياة الفرد والمجتمع، فإن كيفية التعامل مع هذه التشريعات تحتاج إلى ضوابط منهجية. انطلاقًا من ذلك، تتجلى الأهمية التشريعية للألفاظ الثلاثة بوصفها معبّرة عن مسار متكامل في التعامل مع النص القرآني، إذ يدل كل لفظ منها على مرحلة محددة من مراحل هذا التفاعل؛ فالقراءة تشير إلى بداية التلقي والتعرّف، ثم تأتي التلاوة لتعكس الاستمرار والملازمة وما يترتب عليهما من عمل وتطبيق، في حين يعبّر الترتيل عن بلوغ درجة الإتقان المصحوب بالتدبر والوعي.

ويُعنى هذا الفصل بتتبع هذه الأبعاد التشريعية عبر دراسة السياقات القرآنية التي وردت فيها هذه الألفاظ، وتحليلها تحليلاً دلاليًا يفضي إلى استنباط ما تحمله من معانٍ تكليفية توجّه سلوك المكلَّف وتضبط علاقته بالقرآن الكريم، كما يسعى إلى

بيان كيف أسهمت هذه الدلالات في بناء الشخصية الإسلامية الفردية، والكيان الاجتماعي للأمة.

التشريع في اللغة: يستند المفهوم اللغوي للتشريع إلى المادة اللغوية (شرع)، التي تتفق معاجم اللغة العربية على دلالتها الأساسية على الوضوح والبيان والظهور. وقد تناول اللغويون هذه المادة بالشرح والتحليل، حيث يذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي: " الشَّريعة والشّرائع: ما شرع الله للعباد من أمر الدين، وأمرهم بالتمسك به من الصلاة والصوم والحج وشبهه، وهي الشِّرْعَةُ والجمعُ: الشِّرِع. ويقال: هذه شِرعُة ذاك، أي: مثله."[1] ويؤكد أبن فارس على الأصل اللغوي الموحد لهذه المادة فيقول: " الشين والراء والعين أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يُفتَح فى امتدادٍ يكون فيه. من ذلك الشَّريعة، وهى مورد الشَّارِبة الماء. واشتُقّ من ذلك الشِّرْعة فى الدِّين، والشَّريعة."[2]

ويستخلص من هذه التعريفات اللغوية أن أصل المادة يدل على الوضوح والاستقامة، حيث أن مورد الماء يكون معلوماً ظاهراً للناس، ومن هذا المعنى الحسي اشتُق المعنى المعنوي للشريعة بوصفها الطريق الواضح والمنهج المستقيم.

---

[1] كتاب العين، للفراهيدي: ٢٥٣/١، مادة (شرع).

[2] مقاييس اللغة، لأبن فارس: ٢٦٢/٣، مادة (شرع).

التشريع في الاصطلاح: أمّا في مجال الاصطلاح الشرعي، فقد عرف العلماء التشريع بعدة تعريفات متكاملة. ويبين الشريف الجرجاني: "الشريعة: هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل: الشريعة: هي الطريق في الدين"[١] ويتوسّع التهانوي في شرح المفهوم الاصطلاحي فيقول: "وشرعا ما شرع الله تعالى لعبادة من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء صلّى الله عليه وسلم وعلى نبينا وسلم سواء كانت متعلّقة بكيفية عمل وتسمّى فرعية وعملية، ودوّن لها علم الفقه، أو بكيفية الاعتقاد وتسمّى أصلية واعتقادية، ودوّن لها علم الكلام. ويسمّى الشرع أيضا بالدين والملّة، فإنّ تلك الأحكام من حيث إنّها تطاع لها دين، ومن حيث إنّها تملى وتكتب ملّة، ومن حيث إنّها مشروعة شرع. فالتفاوت بينها بحسب الاعتبار لا بالذات، إلّا أنّ الشريعة والملّة تضافان إلى النبيّ عليه السلام وإلى الأمة فقط استعمالا، والدين يضاف إلى الله تعالى أيضا"[٢]

ويتبين من خلال هذه التعريفات الاصطلاحية أن التشريع في الإسلام يشمل منظومة متكاملة من الأحكام التي تنظم حياة الإنسان، وتتناول جوانب الاعتقاد والعمل، وتتميز بالربانية في المصدر، والشمول في التطبيق، والتكامل في المنهج.

---

[١] التعريفات، للجرجاني: ١٢٧، (باب الشين).

[٢] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي: ١٠١٨/١.

المبحث الأول

الدلالة التشريعيّة للترتيل والتلاوة في بناء الفرد وتنظيم العبادة

يتجه هذا المبحث إلى دراسة أوامر التلاوة والترتيل كما وردت في كتاب الله العزيز، مع بيان صلتها بالبعد التعبدي، وبيان أثرها في تهذيب سلوك الفرد والإسهام في بناء شخصيته الإيمانية والأخلاقية. فمن خلال المواظبة على التلاوة بقلب حاضر، والتدبر في الآيات، يتحقق نوع من اليقظة الداخلية التي تنعكس على علاقة العبد بربه وسلوكه اليومي.

أولاً: التدرج في التشريع ومراعاة التيسير على المكلَّفين:

نجد في آيات القرآن الكريم اللطف الإلهي في الرعاية الشريعة للإنسان ومراعات لطاقته. ويُعدّ الأمر القرآني: ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْآنِ**﴾[1] مثالًا بيّنًا على هذا المنهج الإلهي الحكيم، القائم على التدرّج في التشريع ومراعاة أحوال المكلَّفين وما يحيط بهم من ظروف. فهو يأمر بالتلاوة، لكنه يفتح الباب للتيسير، مراعياً ظروف البشرية وقدراتهم، حتى لا يتحمل العبادة فوق طاقتهم، وفي ذلك تحقيق لتوازن جميل بين متطلبات الروح وإمكانيات الجسد. وهذا المنهج القائم على اليسر ورفع الحرج، يجعل العلاقة مع القرآن مستدامة ومؤثرة، تنفذ إلى القلب والسلوك لا إلى المشقة والتكلف. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ**

[1] سورة المزمل: الآية ٢٠.

ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

وقد تناول المفسرون هذا الأمر من زوايا مختلفة، وتباينت آراؤهم حول المراد بالقراءة هنا. ففي تفسيره، يرى الزمخشري أن القرآن عبّر بالقراءة عن الصلاة لأنها جزء من أركانها، تمامًا كما أُشير إليها بالقيام والركوع والسجود، بما يعكس ارتباط لفظ القراءة بالعمل العبادي والمعاني العملية للعبادة. يريد: فصلوا ما تيسر عليكم، ولم يتعذر من صلاة الليل، وهذا ناسخ للأوّل، ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس"[2]. وقال الرازي: " ﴿**فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾ وفيه قولان: الأول: أن المراد من هذه القراءة الصلاة، لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة، فأطلق اسم الجزء على الكل، أي فصلوا ما تيسر عليكم، والقول الثاني للرازي: "أن المراد من قوله:﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**﴾ بعينها والغرض منه دراسة القرآن ليحصل الأمن من النسيان"[3]. وهذا القول للرازي يبين أن الآية جمعت بين دلالتين: الأولى: الصلاة وتعني العبادة

---

[1] سورة المزمل: الآية ٢٠.

[2] الكشاف، الزمخشري: ٦٤٣/٤.

[3] مفاتيح الغيب، للرازي: ٦٩٤/٣٠

العملية، والثانية: تلاوة كلام الله وتدبره وهي العبادة المعرفية. وفي هذه الآية الكريمة توجيه الهي بالتخفيف عن المكلفين بعد أن ورد في أول الآية الحث على قيام الليل وقراءة القرآن فيه ، فجاء قوله تعالى :﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾ أي اقرأوا ما تيسر من القرآن الكريم دون تكلف أو تحميل النفس فوق طاقتها. ويؤكد القرطبي فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أن المراد نفس القراءة، أي فاقرءوا فيما تصلّونه بالليْل ما خف عليكم. والقول الثاني: فاقْرءوا ما تيسّر منْه أَي فصلّوا ما تيسَر علَيكم، والصّلاة تسمى قرآنًا، كقوله تعالى:﴿ **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ أَيْ صَلَاةَ الْفَجْرِ**[1]﴾[2]. وبعض أهل التفسير ذهب إلى أن المراد بالقراءة في هذه الآية هو الصلاة نفسها ، بوصفها أن قراءة القرآن ركن فيها, فكان المعنى صلوا ما تيسر لكم من الصلاة ، فهذا التوجيه بالتخفيف يكون ناسخاً لما سبق في أول السورة من الإلزام بقيام الليل . ثم نسخ ذلك لاحقاً بالصلوات الخمسة المفروضة .كما فسر العلماء التخفيف جاء مراعاة لأحوال الناس ، الله يعلم أن من عباده من يكون مريضاً فيشق عليه القيام والقراءة ، ومنهم المسافر والمجاهد ، فكان التيسير هو الأصل ، والقراءة بمقدار الاستطاعة هي المبدأ[3].

وتتجلى الدلالة التشريعية هنا، حيث تكشف هذه الآية عن أحد أهم أصول التشريع الإسلامي، وهو مراعاة التدرج ورفع الحرج عن المكلفين. فقد بدأ التشريع

---

[1] سورة الإسراء: الآية ٧٨.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٩/٥٣-٥٤.

[3] ينظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لبيضاوي: ٥/٢٥٧.

بالحث على قيام الليل، ثم خفف الله على عباده بالأمر بقراءة ما تيسر من القرآن، سواء في الصلاة أو في التلاوة المجردة.

وفي بيان سمة التيسير التي جعلها الله في القرآن لتسهيل حفظه وتدبره، ويبرز القرآن الكريم سمة التيسير كأحد أهم خصائصه، حيث يؤكد قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ يَسَّرْنَا القرآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ١٧ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾[١]. قال الزمخشري: " أى سهلناه للإدكار والاتعاظ، بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فَهَلْ مِنْ متعظ. وقيل: ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليعان عليه. ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر، من يسر ناقته للسفر: إذا رحلها، ويسر فرسه للغزو، إذا أسرجه وألجمه."[٢] أن تسهيل حفظ وفهم القرآن الكريم يجعل القرآن متاحاً للجميع. ويشرح الطبرسي هذا التيسير: " أي سهلناه للحفظ والقراءة حتى يقرأ كله ظاهرا، وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن" [٣] .

يتضح أنّ تيسير القرآن للذكر كان استمرارًا تاريخيًا لسنّة الله في تذكير الأمم السابقة. قال الرازي: تكرير هذه الآية بعد كل قصة إعلام بأن إنزال العذاب بهم كان

---

[١] سورة القمر: الآيات ١٧-١٨.

[٢] الكشاف، للزمخشري: ٤/٤٣٥.

[٣] مجمع البيان، الطبرسي: ٩/٣١٦.

لأجل عدم انزجارهم بعد التيسير[١]، مما يؤكد أن التيسير الإلهي للقرآن يلغي كل عذر للإعراض عنه.

ويتوسع ابن حيان الأندلسي في بيان وجوه التيسير فيذكر أن التيسير يشمل: " للأذكار والاتعاظ، لما تضمنه من الوعظ والوعد والوعيد. فهل من مدكر قال ابن زيد من متعظ، وقال قتادة فهل من طالب خير، وقال محمد بن كعب فهل من مزدجر عن المعاصي، وقيل للذكر للحفظ، أي سهلناه للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم وسلامة اللفظ وعروه عن الحشو وشرف المعاني وصحتها، فله تعلق بالقلوب [٢]. وبذلك تُبرز الآية جانبًا تاريخيًا عقدياً من الاستمرارية ؛ فالتذكير الإلهي لم ينقطع، لكن القرآن جاء ميسّرًا بصورةٍ لم يسبق لها مثيل، ليكون الخاتم الجامع لكل ما سبق من الهداية. ويؤكد قول الشيرازي في تفسيره: "إن القلوب المهيأة لقبول الحق والمتفاعلة مع منطق الفطرة والمستوعبة لمنهج العقل تنجذب بصورة متميزة، والشاهد على هذا أن التأريخ الإسلامي يذكر لنا قصصا عديدة عجيبة محيرة من حالات التأثير العميق الذي يتركه القرآن الكريم على القلوب الخيرة"[٣].

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٣٠٥/٢٩

[٢] البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٤٠/١٠-٤١.

[٣] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: للشيرازي، ٣١٨/١٧

ويظهر هذا التيسير جلياً في تعليل الآية: ﴿**عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[1]، مما يؤسس لقاعدة تشريعية عظيمة في مراعاة ظروف الناس وأحوالهم.

إذن في قوله تعالى من سورة المزمل ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾ مراعاة لأحوال المكلفين حيث يعتمد على مبدأ التسهيل، والتيسير، ومراعاة احوالهم وقدراتهم الروحية والجسدية. وهذا الامر يعكس رحمة الله الواسعة ولطفه وعدله من خلال مراعاة الطاقات البشرية المختلفة عند اداء الواجبات الدينية الواجبة منها والمستحبة.

ثانياً: الترتيل هو أساس في تدبر المنهج الإلهي:

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ١ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلًا ٤ ۝**﴾[2] حيث يتجلى في هذا الأمر الإلهي بعدٌ تشريعي عميق في كيفية التعامل مع النص القرآني.

قال الطبري: وبين القرآن إذا قرأته تبيينا، وترسل فيه ترسلا [3] نجد أن الطبري يبين البعد التعبدي والتشريعي للآية. يوضح الطبري تفسير الآية أن الله ﷻ يأمر النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بأن يبين ألفاظ القرآن عند القراءة بياناً واضحاً، ولا يعجل أو يتسرع في نطقها، بل عليه أن يتمهل بها حتى تُفهم وتتدبر.

---

[1] سورة المزمل: الآية ٢٠.

[2] سورة المزمل: الآيات ١–٤.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٣٦٢/٢٣.

وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿ **وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلًا**﴾ قال ابن عباس: بينه بيانا. قال الحسن: اقرأه قراءة بينة. قال مجاهد: ترسل فيه ترسلا. قال قَتَادَةُ: تَثَبَّتْ فِيهِ تَثَبُّتًا"[١] . ونجد قول أبن عباس "بينه تبياناً" أي وضحه بحيث لا تدمج بعضها مع بعض، حتى يتحقق الفهم الصحيح والتدبر. أما قوله " اقرأه قراءة بينة" بمعنى لا تكن قراءتك مضطربة وسريعة، بل يجب أن تكون واضحة ومفهومة حتى يعرف المعنى. أما قول مجاهد "ترسل به ترسلاً" أي تمهل بقراءة القرآن ولا تتجاوز الآيات بسرعة، بل يجب أن تكون القراءة بتؤدة وتأنٍ. وقول "تثبت فيه تثبتاً" بمعنى كون مطمئن عند قراءتك متدبراً لما تقول، فالتثبيت يعني التوقف عند المعاني وعدم التسرع في التلاوة. ويتجاوز الترتيل في مفهومه مجرد القراءة المتأنية إلى كونه منهجاً تشريعياً متكاملاً: حيث يؤكد القرطبي هذا البعد فيقول: "أي لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني"[٢] ويشبه النسفي الترتيل بالثغر المرتل فيقول: "ورتل القرآن بين وفصل من الثغر المرتل أي المفلج الأسنان."[٣] مؤكداً إلى أهمية الواضح بين الحروف والكلمات من أجل تحقيق الفهم الصحيح للآيات. ويكشف السعدي عن الحكمة من الأمر بالترتيل فيقول: "﴿**وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلا**﴾ فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ

---

[١] معالم التنزيل، البغوي: ١٦٥/٥.

[٢] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٣٧/١٩.

[٣] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسقي: ٥٥٦/٣.

والاستعداد التام له [١] يوضح أن الترتيل بما أنه قراءة تكون ببطء وتأنٍ مع وضوح الحروف، يحصل التدبر والتفكر والتعبد وتهيئة النفوس بهذا القراءة المرتلة.

ويتبين من أقوال المفسرين أن الأمر بالترتيل يشكل تشريعاً منهجياً لطريقة التعامل مع النص القرآني، حيث أنه:

١. يُعد الترتيل أداة جوهرية وأساسية للوصول إلى التدبر الشرعي المطلوب.

٢. يكون الترتيل قاعدة منظمة يفهم من خلالها الأحكام واستخراجها بدقة ووضوح.

٣. تهيئة الجانب النفسي والروحي لاستقبال النصوص الشرعية وتدبرها.

٤. بناء قاعدة مرجعية في التعامل مع النصوص الشرعية.

إذن الترتيل يكون تشريعاً أساسياً في المنهجية الإسلامية للتعامل مع القرآن الكريم، يجمع بين العمق المعرفي والروحي والضبط الشكلي.

ثالثاً: التلاوة وسيلة للمحاسبة وتنمية المسؤوليّة الفرديّة:

تتجلّى الدلالة التشريعيّة للتلاوة في بعدها التربويّ الذي يربط الفرد بربه، ويُنمي فيه الشعور بالمسؤولية والمحاسبة، وذلك من خلال التلاوة كأداة للمحاسبة الذاتية في الآخرة، يقول تعالى: ﴿ **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾"[٢].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: ٨٩٢

[٢] سورة الأسراء: الآية ١٤.

يقول الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) في تفسيره: "﴿**اقْرَأْ كِتابَكَ**﴾ يعني فيقال له اقرأ كتابك ﴿**كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ محاسبا مجازيا"[١].مشيراً إلى أن الإنسان سيُحاسب بناءً على ما سطره كتابه. فالقراءة هنا فعلٌ يكشف الوعي الكامل بالمسؤولية، حيث يواجه الإنسان حقيقة عمله دون وساطة أو دفاع، فيقرّ بما اكتسبت يداه. حلل الرازي البنية اللغوية للأمر فيقول:" ﴿**اقْرَأْ كِتابَكَ**﴾ والتقدير يقال له: وهذا القائل هو الله تعالى على ألسنة الملائكة اقرأ كتابك ".[٢] ومن قول الرازي في تفسيره إن قوله تعالى ﴿**اقْرَأْ كِتابَكَ**﴾ هو ليس أمراً مباشراً من الله الى العبد بصيغته الأصلية فقط ، بل هو تقدير محذوف في الكلام ، أي إن الله يأمر بأن يُقال للإنسان يوم القيامة هذا الكلام. ومن الواضح أن الذي ينطق بهذا الأمر هو الله تعالى لكن عن طريق الملائكة . ومن الواضح أن الرازي اهتم بتحليل تركيب الجملة القرآنية من حيث البلاغة والدقة في التعبير . يتناول القرطبي الجانب التطبيقي فيوضح: "﴿**اقْرَأْ كِتابَكَ**﴾ يقرأ الإنسان كتابه أميا كان أو غير أمي.. ﴿**كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ أي محاسبا. وقال بعض الصلحاء: هذا كتاب، لسانك قلمه، وريقك مداده، وأعضاؤك قرطاسه، أنت كنت المملي على حفظتك، ما زيد فيه ولا نقص منه، ومتى أنكرت منه شيئا يكون فيه الشاهد منك عليك"[٣]. أي أن الإنسان سيتمكن من قراءة كتاب أعماله يوم القيامة حتى لو كان في الدنيا لا يعرف القراءة

---

[١] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي: ٩٠/٦,

[٢] مفاتيح الغيب، الرازي: ٣٠٩/٢٠.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : ٢٣٠/١٠

والكتابة ، فالله سبحانه وتعالى يمكنه من ذلك لتتم الحجة عليه. ويحلل البيضاوي التركيب النحوي قائلاً: "﴿**اقْرَأْ كِتابَكَ**﴾ على إرادة القول. ﴿**كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ أي كفى نفسك، والباء مزيدة وحَسِيباً تمييز وعلى صلته لأنه إما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد، لأنه يكفي المدعي ما أهمه، وتذكيره على أن الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص"[1]. أن المقصود بها : يُقال له : ﴿ **اقْرَأْ كِتابَكَ**﴾. وهذا ما يعرف عند البلاغيين ب إرادة القول ، حيث يُحذف فعل القول ويفهم من السياق.

تقدم الآية تشريعًا لغاية التلاوة في الآخرة، حيث تكون التلاوة وسيلة لمحاسبة الإنسان نفسه بنفسه من خلال كتابه الذي كتبته الملائكة. هذا يُشعر المسلم بأهمية أن تكون تلاوته في الدنيا مرتبطة بالعمل والمحاسبة

رابعاً: تحديد أوقات الصلاة والتلاوة:

"من فوائد الصلاة الشخصية التقرب بها إلى الله، وتقوية النفس والارادة، والاعتزاز بالله تعالى دون غيره، والسمو عن الدنيا ومظاهرها"[2]. وتشير الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**

---

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي : ٣/٢٥٠.

[2] من الاعمال الصالحة (الصلاة)، الباحثة: إيمان سرحان فارس، أ. د. بر كاوي جليب القريشي: ٧٠١.

إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾"[1] إلى التنظيم الزمني للعبادات وارتباطها بالتلاوة، ويمكن تحليل ذلك من خلال الأقوال التفسيرية الآتية:

يذكر الفراء(ت ٢٠٧ هـ) في تفسير قوله تعالى ﴿**إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾ أن المقصود به: "أوّل ظلمته للمغرب والعشاء. قوله ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾ أي وأقم قرآن الفجر ﴿**إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً**﴾ يعنى صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار"[2] فسر الفراء قوله تعالى "وقرآن الفجر" بأنه إشارة إلى صلاة الفجر وما يُتلى فيها من القرآن. أما عبارة "إن قرآن الفجر كان مشهودًا" أنها تعني أن هذه الصلاة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار. وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) حيث قال: " أي قراءة الفجر، يعني صلاة الفجر. قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي الله عنه: ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السّجُودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ الليلَ تَسْبِيحًا وقُرْآنا أي: تسبيحًا وقراءة"[3] ويتضح من خلال ما نقله الطبري عن ابن زيد: "﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾. قال: صلاةَ الفجرِ، ﴿**إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾. قال: مشهودًا من الملائكةِ فيما يذكُرون"[4] . "أداء الصلاة في وقتها وبخشوعها والمحافظة عليها في أوقاتها لأنها صلة بالرب والوسيلة السامية للتقوى والابتعاد عن المعاصي"[5].

---

[1] سورة الإسراء: الآية ٧٨.

[2] معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء: ٢/ ١٢٩.

[3] غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري: ٣٣-٣٤.

[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ١٥/ ٣٦.

[5] دلالات الفعل الماضي في آيات الصلاة، أ. د. مجيد طارش عبد الربيعي، والباحث: حيدر حسن عبد القريشي، كلية التربية للتربية الإنسانية جامعة واسط : ٤٥٠.

تكشف هذه الآية عن أمور تتعلق بالجانب التشريعي الذي تدل عليه، وأهمها:

١. التنظيم الزمني للعبادات: حيث حددت الآية أوقات الصلوات المفروضة بدقة.

٢. ارتباط الصلاة بالتلاوة: من خلال عطف "قرآن الفجر" على "الصلاة"، مما يدل على تلازمهما.

٣. المكانة الخاصة لصلاة الفجر: بوصفها الصلاة المشهودة من ملائكة الليل والنهار.

٤. الأسلوب التشريعي في التعبير: حيث عبر عن الصلاة بالتلاوة مجازاً، تأكيداً على أهمية القراءة في الصلاة.

وبهذا تؤسس هذه الآية لمنهج تشريعي متكامل في تنظيم العبادات وربطها بالتلاوة، مع بيان الفضائل المترتبة على الالتزام بهذا التنظيم الإلهي.

خامساً: آداب الاستماع للقرآن كتشريع لازم في بناء الفرد:

يشكل قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ القرآن فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾"[1] أصلاً تشريعياً لآداب التعامل مع القرآن الكريم، ويمكن تحليل ذلك من خلال الأقوال التفسيرية الآتية:

[1] سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.

ذكر الإمام الواحدي النيسابوري في كتابه أسباب نزول القرآن"روايتين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ القرآن فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا**﴾ الرواية الأولى: أنها نزلت في الصلاة المكتوبة لمنع الكلام خلف الإمام؛ وساق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كانوا يتكلمون في الصلاة، فلما نزلت هذه الآية: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا**﴾ أُمسكوا عن الكلام». الرواية الثانية: أنها نزلت في منع المأموم من القراءة مع قراءة إمامه؛ وساق بسنده عن ابن شهاب الزهري قال: «نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئاً قرأه، فنزلت: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا**﴾»"[1] أن الآية نزلت لتأديب المؤمنين وتعليمهم أدب تلاوة القرآن والاستماع له، مما يدل على أن التشريع جاء لتنظيم سلوك المصلين أثناء التلاوة. ويحدد الطوسي المراد من الآية بقوله: "امر الله تعالى المكلفين بأنه إذا قرئ القرآن أن يسمعوا له ويصغوا إليه ليفهموا معانيه ويعتبروا بمواعظه وان ينصتوا لتلاوته ويتدبروه ولا يلغوا فيه ليرحمهم بذلك ربهم."[2] مشيراً إلى أن الإنصات يتضمن الاستماع المصحوب بالفهم والتدبر. يناقش الرازي الإشكال التشريعي في تطبيق العموم فيقول: " أَنَّ عمومَ قوْله تعالى: ﴿وَإذا قُرِئَ القرآن فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ يوجب سكوت المأموم عند قراءة الإمام، إلا أن قوله

---

[1] ينظر: أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي: ٢٣٣. وينظر: تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي: ٣٥٠.

[2] التبيان في تفسير القرآن : الطوسي ،٦٨/٥.

عليه الصلاة والسلام:"**«لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»**"[1] وَقَوْلَهُ: «لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» أخص من ذلك العموم، وثبت أن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد لازم فوجب المصير إلى تخصيص عموم هذه الآية بهذا الخبر "[2] يُفيد عموم وجوب السكوت عند سماع القرآن الكريم، وخاصة أثناء اداء الصلاة عند قراءة الإمام. لكن هذا العموم بحسب ما قاله الرازي يُخصَّص بحديث النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، إذ يدل الحديث على أن المأموم يجب أن يقرأ الفاتحة في صلاته، حتى وإن كان الإمام يقرأ، لأن الحديث أخص من عموم الآية. وبذلك يكون معنى الآية محمولًا على غير موضع قراءة الفاتحة، أو على غير الصلاة المفروضة التي يقرأ فيها المأموم. يبين الزحيلي أن الحكم يشمل جميع مواطن التلاوة فيذكر: أن ترك الاستماع والإنصات للقرآن المتلو في المحافل، فمكروه كراهة شديدة، وعلى المؤمن أن يحرص على استماع القرآن عند قراءته، كما يحرص على تلاوته والتأدب في مجلس التلاوة"[3] ويُستنبط من هذا القول أن ترك الاستماع والإنصات للقرآن مكروه كراهة شديدة، لأن ذلك ينافي الأدب مع كلام الله. كما أن المؤمن مأمور بأن يستمع للقرآن كما يُؤمر بتلاوته، وأن يُظهر في مجلس التلاوة أدب الخشوع والسكينة. ويؤكد الطباطبائي هذا المعنى فيوضح: في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذا قُرِئَ القرآن فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ "الإنصات

---

[1] صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، الحديث رقم: (٧٥٦)، ١٥١/١.

[2] مفاتيح الغيب، الرازي: ٤٤٠/١٥

[3] التفسير المنير: وهبة الزحيلي ، ٩ / ٢٣٠.

السكوت مع استماع ، وقيل: هو الاستماع مع سكوت يقال: أنصت الحديث وأنصت له أي استمع ساكتا، وأنصته غيره وأنصت الرجل أي سكت ، فالمعنى : استمعوا للقرآن واسكتوا"[1] وقول الطباطبائي يبين أن الآية تشمل كل موضع يقرأ فيه القرآن سواء كان ذلك في الصلاة أو خارجها. ويُستحب أن تكون القراءة مرتلة ذات نغم خاشع تعبّر عن التأثر دون تكلّف أو تصنع، لأن المقصود من التلاوة التدبّر والخضوع لا التلحين الصوتي.

تأسيساً على ما سبق، يمكن استنباط الدلالات التشريعية الآتية:

١. التشريع الآدابي: حيث تؤسس الآية آدب التعامل مع القرآن الكريم.

٢. الترابط بين الظاهر والباطن: فالإنصات ليس مجرد سكوت، بل هو استماع مقترن بتدبر وفهم.

٣. التكامل بين النصوص: حيث يتم تخصيص عموم النص القرآني بالنصوص الحديثية.

٤. الغاية التشريعية: تحقيق الرحمة الإلهية من خلال التأدب مع كلام الله.

وبهذا يكون الاستماع والإنصات تشريعاً تربوياً متكاملاً يسهم في بناء الشخصية الإسلامية المنضبطة بأدب التعامل مع الوحي.

---

[1] الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨ / ٣٨٢.

المبحث الثاني

الدلالة التشريعيّة للتلاوة والقراءة في بناء المجتمع وتماسكه

يتناول هذا المبحث الأبعاد المجتمعية للتلاوة والقراءة في التشريع الإسلامي، وكيف تساهم في بناء النسيج الاجتماعي وتماسكه. وذلك من خلال بيان دور القرآن الكريم في ضبط معايير العلم والايمان، من خلال الالتزام العقدي والعملي داخل المجتمع، كما يبرز أثر التلاوة في حماية الفرد والمجتمع من الانحراف، وترسيخ مقومات الأسرة المسلمة بوصفها النواة الأولى في بناء مجتمع متوازن تحكمه مرجعية الوحي ومقاصده.

أولاً: التلاوة معيار لتمييز الصالحين من أهل الكتاب:

تشكل الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾"[1] مثالاً للتشريع القرآني في وضع المعايير الموضوعية للتمييز بين الناس.

يذكر السيد عبد الله شبر(ت ١٢٤٢ هـ) في تفسيره : "﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ**﴾ مستقيمة عادلة بيان لنفي استوائهم ﴿**يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾ عبر عن تهجدهم بالتلاوة والسجود لأنه أبلغ بالمدح أو أريد

[1] سورة ال عمران: الآية ١١٣.

صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها."[1] من خلال ما قاله عبد الله شبر في تفسيره يتضح أن أهل الكتاب ليسوا متساوين في حالهم، بل فيهم جماعة مستقيمة بالإيمان والعمل، يتصفون بالعدالة والاستقامة، وهذا هو وجه نفي التساوي المذكور في أول الآية. ثم يُبيّن سبب مدح هذه الجماعة بقوله تعالى:﴿**يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾ أي أن هؤلاء يحرصون على قراءة القرآن والقيام بالصلاة في أوقات الليل. وذُكر التلاوة والسجود تحديدًا لأن فيهما دلالة على المداومة والخشوع، مما يجعل المدح أبلغ وأقوى. ويكشف ابن عاشور عن العمق الدلالي لوصف التلاوة فيقول: "أي يتهجدون في الليل بتلاوة كتابهم، فقيدت تلاوتهم الكتاب بحالة سجودهم. وهذا الأسلوب أبلغ وأبين من أن يقال: يتهجدون؛ لأنه يدل على صورة فعلهم."[2] يوضح أن تلاوتهم لكتاب الله لم تكن في أي وقت فقط، بل كانت في وقت التهجد، أي أثناء قيامهم ليلًا تعبُّدًا. وقد تمَّ تصوير هذا المشهد بأنهم يتلون الكتاب وهم ساجدون، وليس فقط أنهم يصلون أو يتهجدون. وهذا التصوير يعطي المعنى قوة أكبر؛ لأنه لا يكتفي بذكر الفعل، بل يرسم الحالة التي يكونون عليها، وهي حالة الخشوع التام والانشغال الصادق بعبادة الله. فالأسلوب هنا أبلغ من مجرد قولنا "يصلّون ليلًا" لأنه يُظهر حالهم بدقة، ويُبرز إخلاصهم وتفانيهم في الطاعة. ويوضح الطباطبائي البعد التشريعي في التمييز بقوله: " أي ليسوا مستوين في الوصف

---

[1] تفسير القرآن الكريم، لسيد عبد الله شبر: ١٣٣.

[2] التحرير والتنوير، لأبن عاشور: ٤/٥٧-٥٨.

والحكم فإن منهم أمة قائمة يتلون آيات الله . ومن هنا يظهر أن قوله: "من أهل الكتاب"، في مقام التعليل يبين به وجه عدم استواء أهل الكتاب." [1] يفهم من هذا القول أن الآية تُفرّق بين طوائف أهل الكتاب، فليس هم جميعًا في منزلة واحدة من حيث الحكم. فبعضهم أمةٌ قائمة، أي ثابتة على الحق، تقوم بتلاوة آيات الله آناء الليل والنهار وتعمل بما جاء فيها، وهؤلاء يمثلون الجانب الصالح من أهل الكتاب الذين تمسّكوا بالهداية الإلهية. أما قوله: "من أهل الكتاب" جاء ليبين عدم استوائهم، أي لتوضيح سبب الاختلاف بينهم؛ فوجود جماعة مؤمنة مخلصة فيهم هو ما جعل الحكم متباينًا، إذ لا يمكن أن تكون هناك مساواة بين من اهتدى بنور الوحي وبمن أعرض وكذّب. وبهذا يتضح أن النص يرسّخ مبدأ التمييز القيمي بين الجماعات على أساس الإيمان والعمل الصالح لا على أساس الانتماء الشكلي أو الاسم الديني، فيبيّن أن العدل الإلهي يفرّق بين أهل الكتاب بحسب مواقفهم من الحق.

تأسيساً على ما سبق، يمكن استنباط الدلالات التشريعية الآتية:

١. تُعدّ التلاوة في المنظور القرآني معيارًا تشريعيًا واضحًا للتمييز بين الناس، إذ جعل القرآن الكريم المواظبة على تلاوة آيات الله علامة فارقة يُستدلّ بها على اختلاف المواقف والمراتب، وما يترتب عليها من آثار سلوكية وتشريعية.

٢. يتصل مفهوم التلاوة في الخطاب القرآني بالعمل ارتباطًا وثيقًا، إذ تقترن بالسجود بوصفه مظهرًا عمليًا للتفاعل مع آيات الله، مما يبرز أن قيمة التلاوة لا تقتصر على

[1] الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي: ٣٨٥/٣.

التلفظ بالألفاظ، وإنما تتحقق من خلال استحضار معانيها وتجسيدها في السلوك التعبدي والخضوع لله تعالى.

٣. التشريع الإسلامي يركز على مبدأ العدل في الحكم على الاخرين حيث ابتعد عن التعميم، وجعل معيار التقويم الحقيقي هو السلوك العملي للفرد.

٤. وتُعد الاستقامة للفرد هي ثمرة التلاوة فالأمة القائمة التي تتلو آيات الله آناء الليل هم المستقيمون في عقائدهم وأعمالهم.

تبين هذه الآية أساسًا لمنهج تشريعي في التعامل مع غير المسلمين تأكد على الإنصاف والعدل بينهم، حيث يكون معيار التقييم هو الأعمال والسلوك للفرد.

ثانياً: التلاوة صفة لأهل العلم والإيمان:

في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ**﴾[1] تشكل الآية الكريمة مثالاً للتشريع القرآني في تحديد صفات الجماعة المؤمنة وطريقة استجابتها للوحي.

يذكر الطبري في تفسيره: " يقول تعالى ذكره: ﴿**وَإِذَا يُتْلَى**﴾ هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن ﴿**قَالُوا آمَنَّا بِهِ**﴾ يقول: يقولون: صدّقنا به ﴿**إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا**﴾ يعني من عند ربنا نزل، ﴿**إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ**﴾ أي نزول هذا القرآن ﴿**مُسْلِمِينَ**﴾ ، وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل

[1] سورة القصص ٥٣.

مجيء نبينا محمّد –صلى الله عليه [وآله] وسلم– وعليهم من الكتب، وفي كتبهم صفة محمّد ونعته، فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدّقين قبل نزول القرآن، فلذلك قالوا: ﴿**إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ**﴾."[١] ويحلل الزمخشري البنية اللغوية للآية فيقول: " فإن قلت: أى فرق بين الاستئنافين إنه وإنا؟ قلت: الأوّل تعليل للإيمان به، لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به. والثاني: بيان لقوله آمَنَّا بِهِ لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده، فأخبروا أن إيمانهم به متقادم."[٢] ويؤكد الرازي على الدلالة التشريعية في الاستجابة للتلاوة بقوله: " أي إذا قرئ عليهم القرآن قالوا صدقنا بما فيه ﴿**إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ**﴾ أي من قبل نزوله، أو من قبل بعثة محمد عليه السلام ﴿**مُسْلِمِينَ**﴾ أي موحدين، أو مؤمنين بأنه سيبعث محمد وينزل عليه القرآن."[٣] وقال الألوسي في تفسيره: "﴿**وَإِذا يُتْلى**﴾ أي القرآن ﴿**عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ**﴾ أي بأنه كلام الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا**﴾ أي الحق الذي كنا نعرف حقيته، وهو استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به، وجوز أن تكون الجملة مفسرة لما قبلها."[٤]

تأسيساً على ما سبق، يمكن استنباط الدلالات التشريعية الآتية:

١. التلقي الإيجابي للوحي.

٢. الاستجابة الفورية.

---

[١] جامع البيان، للطبري : ٢٧٩/١٨.

[٢] الكشاف، للزمخشري : ٤٢١/٣.

[٣] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٩٧/١٣.

[٤] روح المعاني للألوسي: ٣٠١/١٠.

٣. الإيمان المبني على المعرفة.

٤. استمرارية الإيمان.

٥. الجماعة المؤمنة ككيان اجتماعي يعكس البعد الجماعي للإيمان والتكامل المجتمعي.

وبذلك تؤسس الآية لمنهج تشريعي في بناء الجماعة المؤمنة التي تقوم على الاستجابة الإيجابية للوحي، مع تعزيز الوحدة المتكاملة للفرد.

ثالثاً: القرآن أساس في عقد البيعة مع الله والتكليف بالجهاد في سبيل الدين:

في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾"[١] مثال للتشريع القرآني في تأسيس عقد البيعة بين الله والمؤمنين.

يذكر الطبري في تفسيره: "يقولُ تعالى ذكرُه: إن اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه ابْتَاعَ مِن المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بالجنةِ، ﴿**وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا**﴾. يقول: وعدهم الجنة، جلَّ ثناؤُه، وعدًا عليه حقًّا أن يوفي لهم به، في كتبه المنزلة؛ التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وفوا بما عاهدوا الله، فقاتلوا في سبيله ونصرة دينه أعداءه، فقتلوا وقتلوا."[٢] من

---

[١] سورة التوبة: الآية ١١١.

[٢] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، ٥/١٢٠

خلال ما تقدم نجد أن الآية أسست أصلاً من أصول التشريع الإسلامي وهو فريضة الجهاد في سبيل الله لأنه يعتبر ميثاق بين المؤمنين وربهم. والجهاد هنا ليس مجرد عمل تطوعي بل هو عقد شرعي له مقابل محدد وهو الجنة موعود به في الكتب السماوية كلها التوراة والإنجيل والقرآن. و يحلل الرازي البنية اللغوية للآية فيقول:" نصب وعدًا على المعنى، لأن معنى قوله: بأن لهم الجنة أنه وعدهم الجنة، فكان وعدًا مصدرًا مؤكدًا... والقول الثالث: أن الأمر بالقتال والجهاد هو موجود في جميع الشرائع"[١]. أذن يبين الرازي أن الجهاد حكم شرعي عام، متكرر في الرسالات، جعله الله فريضة لحماية العقيدة، مقرونًا بجزاء محدد هو الجنة. ويؤكد السمرقندي على طبيعة العقد الشرعي بقوله: "﴿**وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا**﴾، يعني: واجباً لهم ذلك، بأن يفي لهم ما وعد، وبين لهم ذلك في التوراة والإنجيل والقرآن. وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ، يعني: ليس أحد أوفى من الله تعالى في عهده وشرطه، لأنه عهد أن من قتل في سبيل الله، فله الجنة، فيفي عهده ذلك وينجز وعده"[٢] في كلام السمرقندي أن القتال في سبيل الله عقد شرعي بين الله وعباده المؤمنين، واجب الوفاء، وضمان الجنة هو الجزاء الحق لهذا الالتزام.

---

[١] مفاتيح الغيب، الرازي: ١٦/ ٢٠٢

[٢] بحر العلوم ،للسمرقندي: ٢/٩٠ .

تأسيساً على ما سبق، يمكن استنباط الدلالات التشريعية الآتية:

١. التلاوة في هذه الآية وسيلة لإعلان العقد: حيث أن ذكر هذا العقد في الكتب السماوية الثلاثة يجعل من تلاوته إعلاناً وتذكيراً بهذا الميثاق.

٢. القرآن وتلاوته ليست مجرد تلفظ، بل التزام عملي بما تتضمنه من عهود ومواثيق.

٣. إن ذكر العقد في التوراة والإنجيل والقرآن يجعل من تلاوة هذه الكتب شهادة على صحة هذا الميثاق.

٤. يؤسس النص لتشريع الجهاد كجزء من العقد الإلهي مع المؤمنين، وليس مجرد تكليف عابر.

وبهذا تؤسس الآية لمنهج تشريعي في بناء المجتمع المسلم على أساس العقد الإلهي الذي تجسده التلاوة، وتذكّر به باستمرار، وتلتزم بمقتضاه في الواقع العملي.

رابعاً: النهي عن الفضول حماية للمجتمع والنفس:

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القرآن تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[1] مثالاً للتشريع القرآني في تنظيم عملية السؤال والاستفتاء، وترتبط بالتلاوة ارتباطاً وثيقاً.

---

[1] سورة المائدة: الآية ١٠١.

يذكر مقاتل بن سلمان في تفسيره: "قوله سبحانه ﴿**وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ**﴾ يعني عن الأشياء حين ينزل بها قرآناً تُبْدَ لَكُمْ تبين لَكُمْ، عَفَا اللَّهُ عَنْها يقول: عفا الله عن تلك الأشياء حين لم يوجبها عليكم"[١]. يُوضّح مقاتل أنّ الآية الكريمة تنهى المؤمنين عن كثرة السؤال في وقت نزول الآيات القرآنية؛ لأن السؤال عند نزول القرآن قد يترتب عليه التكليف بأحكام جديدة قد تكون في تلك الأحكام مشقة عليهم. ويؤكد الطبري هذا المعنى فيوضح: "يقولُ تعالى ذكرُه للذين نهاهم من أصحابِ رسولِ الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم– ، عما نهاهم عن مسألتهم إياه عنه، من فرائضَ لم يَفْرِضْها اللهُ عليهم، وتحليلِ أمورٍ لم يُحلِّلْها لهم، وتحريمِ أشياءَ لم يُحرِّمها عليهم "[٢] يوضح الطبري أن الوحي هو مصدر التشريع ، وأن الإيمان الصحيح بما جاء به الوحي يقتضي التسليم بما جاء فيه، وعدم تحميل النفس أسئلة قد تجلب تشديداً إلهياً أو تكليفاً زائداً، وفي ذلك حماية للإنسان من الحرج، وصيانة للعقيدة من الانحراف بالتشدد أو الابتداع. يحلل الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) البعد التشريعي فيقول: "أعلم الله أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، فإذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك، ولا وجه في المسألة عما عفا الله عنه، ولا فيما فيه إن ظهر فضيحة على السائل. وقوله: ﴿**وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا**﴾ أي: عن أشياء ﴿**حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ**﴾ فيها من فرض أو إيجاب أو نهي أو حكم، ومست حاجتكم إلى ما هو من

---

[١] تفسير مقاتل بن سلمان :٥٠٩/١

[٢] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٢٣/٩.

جملة ما نزل فيه القرآن، وليس في ظاهرها دليل على شرح ما بكم إليه حاجة"[1] أن الواحدي يوضح أن الأسئلة المشروعة والمعتبرة تشريعيًا هي تلك التي تتعلق بما أنزله الله بالفعل من أحكام يحتاجها الناس في حياتهم، سواء كانت أوامر أو نواهي أو حدودًا أو فرائض. وهنا يظهر مبدأ تشريعي آخر: أن الحاجة الواقعية هي التي تُظهر الحكم وتبيّنه، فلا يُبحث عن حكم في غير موضعه ولا في غير وقت الحاجة إليه.

ويصنف الرازي السؤال إلى نوعين فيذكر: السؤال على قسمين: أحدهما واجب وهو أن ينزل القرآن بحكم ولا يُفهم معناه فيجب السؤال عنه، والثاني منهي عنه وهو السؤال عما لا حاجة به إليه.[2]

ويبرز النسفي (ت ٧١٠ هـ) الحكمة من التشريع بقوله: "كانوا يسألون النبي -صلى الله عليه [وآله] وسلم- عن أشياء امتحانًا، فنزل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ**﴾ والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أي قوله: ﴿ **إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القرآن تُبْدَ لَكُمْ**﴾ صفة لأشياء، أي وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم تُبد لكم تلك التكاليف التي تسوؤكم أي تغمكم وتشق عليكم، تُؤمرون بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها. ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْهَا** ﴾ عفا الله عما سلف من مسألتكم

---

[1] الوسيط، للواحدي: ٢/٢٣٤.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي :١٢ /٤٤٣-٤٤٦.

فلا تعودوا إلى مثلها، ﴿ **وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ لا يعاقبكم إلا بعد الإنذار"[1] النسفي يوضح أن الصحابة، وبعض الناس قبلهم، كانوا يكثرون من السؤال أحيانًا على سبيل الامتحان أو التعنت، فجاء النهي في هذه الآية حتى لا يقعوا في مثل ذلك. ثم يبيّن أن الأسئلة التي تُطرح زمن نزول الوحي قد تكشف أحكامًا وتشريعات فيها مشقة كبيرة، فإذا لم يلتزم بها السائلون كانوا عرضة للعقوبة. ولهذا نهى الله عن هذا النوع من السؤال صيانةً للمؤمنين من الوقوع في الحرج.

وقال الطباطبائي: "الآية تنهي المؤمنين عن أن يسألوا عن أشياء إن تبد لهم تسؤهم، وقد سكتت أولاً عن المسؤول من هو؟ غير أن قوله بعد: ﴿ **إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القرآن تُبْدَ لَكُمْ**﴾ قوله في الآية الاتية: ﴿ **قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ**﴾[2] يدل على أن النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– مقصود بالسؤال مسؤول بمعنى أن الآية سبقت للنهي عن سؤال النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، عن أشياء والعلة المستفادة من الآية تفيد شمولية النهي لغير موارد الغرض، وهو أن يسأل الإنسان عن كل ما عفاه العفو الإلهي ... فإن الاطلاع على حقيقة مثل هذه الأمور مظنة الهلاك والشقاء"[3]، الطباطبائي يبين أن النهي في الآية موجه للمؤمنين ليمنعهم من التكلف في السؤال عما ستره الله ولم يشرّعه لهم.

---

[1] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ١ /٤٧٩.

[2] سورة المائدة: الآية ١٠٢.

[3] الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي ، ١٥٦/٦.

ومن هنا يتضح أن التشريع قائم على ما أوحى الله فقط، وما سكت عنه الشرع فهو عفو ورحمة، فلا يجوز تحميل النفس ما لم يُلزِمها الله به.

وتأسيساً على ما سبق، يمكن استخلاص الدلالات التشريعية الآتية:

١. تنظيم عملية الاستفتاء: حيث وضع التشريع الإسلامي ضوابط للسؤال والاستفتاء، فميز بين السؤال المشروع والممنوع.

٢. حماية الأمة من التشديد: فالنص يشير إلى أن بعض الأسئلة قد تؤدي إلى تكاليف جديدة تشق على الناس.

٣. الاقتصار على الوحي مصدراً للتشريع: حيث أن المسكوت عنه في الوحي يُعدّ من الرحمة الإلهية.

٤. مراعاة ظروف التنزيل: فالسؤال أثناء نزول الوحي قد يؤدي إلى تشريعات جديدة.

٥. التدرج في التشريع: حيث يؤسس النص لمبدأ التدرج في بيان الأحكام وعدم استعجالها.

وبهذا يؤسس هذا النص القرآني لمنهج تشريعي في التعامل مع النصوص، يقوم على الحكمة ومراعاة المصالح، والاقتصار على ما جاء في الوحي دون تكلف أو تعسف.

خامساً: التلاوة أساس للبيت المسلم:

ينبغي للمسلم أن يقرأ القرآن في بيته بالإضافة لخصوصية الأماكن المقّدسة والمساجد؛ لما في ذلك أثر هام، فعن الرضا عليه السلام يرفعه إلى النبي –صلى الله عليه واله وسلم– أنه قال: **اجعلوا لبيوتكم نصيبا من القرآن فإن البيت إذا قرأ فيه القرآن تيسر على أهله وكثر خيره وكان سكانه في زيادة وإذا لم يقرأ فيه القرآن ضيق على أهله وقل خيره وكان سكانه في نقصان**"[1] .

ولقد جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾[2]يمثل مثالاً للتشريع القرآني في بناء الأسرة المسلمة على أساس التلاوة والتعلم والخير والبركة.

يذكر الطبري في تفسيره: "يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمّد –صلى الله عليه[وآله] وسلم– واذكرن نعمة الله عليكن؛ بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه، وعني بقوله ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**﴾: واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة، ويعني بالحكمة: ما أوحي إلى رسول الله –صلى الله عليه[وآله] وسلم– من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة"[3].

---

[1] وسائل الشيعة، حرّ العاملي: باب ١٦ : استحباب قراءة القرآن في المنزل وكراهة تعطيله عن الصلاة والقراءة وذكر الله واستحباب قراءة القرآن في المساجد: ٤/ ٨٥٠–٨٥١.

[2] سورة الأحزاب: الآية ٣٤.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٢٠/٢٦٨.

ويكشف الزمخشري عن البعد التشريعي فيقول: "ثم ذكرهن أنّ بيوتهن مهابط الوحى، وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين: هو آيات بينات تدل على صدق النبوّة، لأنه معجزة بنظمه. وهو حكمة وعلوم وشرائع"[1].

ويؤكد الرازي الشمولية التشريعية فيذكر: "ثم قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ أي كلمات النبي عليه السلام إشارة إلى ما ذكرنا من أن التكاليف غير منحصرة في الصلاة والزكاة. "[2] وينقل القرطبي الخلاف في هذا الشأن: قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ هذه الألفاظ تعطي أن أهل البيت نساؤه. وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت، من هم؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن. وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي –صلى الله عليه [وآله] وسلم–، لقوله تعالى:" ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾، وقالت فرقة منهم الكلبي: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، وفي هذا أحاديث عن النبي عليه السلام، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ** (٣)﴾"[4].

---

[1] الكشاف، للزمخشري: ٥٣٨/٣.

[2] مفاتيح الغيب ، للرازي: ١٦٨/٢٥.

[3] سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

[4] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨٢/١٤. استند القرطبي في تفسير الآية إلى جملة من الروايات الواردة في أهل البيت، مقدمتها حديث الكساء المروي في صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم (٢٤٢٤): ٧/ ١٣٠. وسنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم (٣٧٨٧): ٦٦٣/٥.

ويتوسع الألوسي في تحليل الدلالات التشريعية فيذكر: "﴿**وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ أي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير، وقيل: أي تذكرن ولا تنسين ما يتلى في بيوتكن مِنْ آياتِ اللَّهِ أي القرآن وَالْحِكْمَةِ هي السنّة"[١].

ويكشف ابن عاشور عن العمق التشريعي فيوضح: " لما ضمن الله لهن العظمة أمرهن بالتحلي بأسبابها والتملي من آثارها والتزود من علم الشريعة بدراسة القرآن ليجمع ذلك اهتداءهن في أنفسهن ازديادا في الكمال والعلم، وإرشادهن الأمة إلى ما فيه صلاح لها من علم النبي –صلى الله عليه [وآله] وسلم–" [٢].

وتأسيساً على ما سبق، يمكن استخلاص الدلالات التشريعية الآتية:

١. البيت المسلم مركز للإشعاع التشريعي: من خلال جعله مقراً للتلاوة والتعلم.

٢. التكامل بين القرآن والسنة: حيث أن التلاوة تشمل "آيات الله" و"الحكمة".

٣. الدور التربوي للمرأة في حفظ العلم ونشره كما في "إِرْشَادَهُنَّ الْأُمَّةَ".

٤. الاستمرارية في التعليم من خلال "دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ" المتجددة.

٥. الربط بين العلم والعمل في "اهْتِدَاءَهُنَّ فِي أَنْفُسِهِنَّ"، حيث يتحول الفهم إلى سلوك عملي في الحياة.

وتتبين أسس المنهج التشريعي المتكامل من خلال هذه الآيات في بناء المجتمع المسلم، يجعل من التلاوة أساساً للبيت المسلم، ومن البيت المسلم منطلقاً لبناء الأمة.

---

[١] روح المعاني للألوسي: ٢٠١/١١.

[٢] التحرير والتنوير لأبن عاشور: ١٨/٢٢.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين الذي بفضله وبنعمته تتمّ الصالحات، وبكرمه وتوفيقه تتمّ إن شاء الله مسيرة البحث الدراسيّة.

لقد وفّقنا الله في كتابة هذا الرسالة الموسوم بـ "آيات القراءة والتلاوة والترتيل دراسة دلاليّة" وتوصلّنا في نهاية هذه الدراسة إلى نتائج وتوصيات نلخّصها فيما يأتي:

النتائج:

١. إنّ مفاهيم (القراءة والتلاوة والترتيل) هي ليست مفاهيم مترادفة، بل تشكّل مفاهيم أساسيّة ومترابطة بشكل تجعلنا نحسن التعامل مع النصّ القرآني ونفهمه، فالقراءة هي الفعل الأساسيّ للتلاوة والترتيل، والتلاوة هي التتبّع لتلك القراءة، أمّا الترتيل فهو التأنّي في القراءة لتحقيق التدبّر والفهم، وهذا ما أكّدته أقوال المفسّرين، وجميعها تصبّ في استقبال الوحي والانتفاع به.

٢. تظهر الدلالة العقديّة أنّ دراسة الآيات التي تأمرنا بهذه الأفعال تحمل أدلّة قويّة على صدق النبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم– منذ نزول الوحي عليه حين أمره بالقراءة، وهو إعلان للاتّصال الإلهيّ، كما أنّ التحدّي بالتلاوة والقراءة، واستماع الجنّ للقرآن وإيمانهم به يعدّ من أقوى الدلائل والبراهين على إعجاز القرآن وكونه من عند الله تعالى.

٣. الدلالة التربويّة بيّنت أنّ هذه الآيات ترسم منهجًا أدبياً متكاملًا للخلق، فالأمر بالاستعاذة قبل تلاوة القرآن يُعِدُّ النفسّ لتلقّي الوحي للنبيّ محمّد –صلّى الله عليه وآله وسلّم–، ولقراءة القرآن بترتيل وخشوع أثر في زيادة الإيمان بالله وكتبه ورُسله، كما تنهانا التلاوة الخاشعة عن اللهو، وتأمرنا بالاستماع والإنصات، لتهذيب السلوك والتربية على التعظيم والاحترام لكلام الله، وهو ما يعكس أثره الإيمانيّ في الفرد والمجتمع.

٤. الدلالة التشريعية أوضحت أنّ هذه المفاهيم تنطوي على تشريعات عمليّة تؤدّي إلى تنظم الحياة، فمثلًا التدرج في تلاوة القرآن الكريم وتعلّمه هو من التيسير والتسهيل على المكلّفين، وأنّ ضبط أوقات التلاوة والاستماع كما في الصلاة يُنَظِّم العبادة، وقد جُعِلَت التلاوة معيارًا للتمييز بين الصادقين والمنافقين، وصفةً لأهل العلم، وهي تُسهم في بناء المجتمع المسلم وتماسكه على أساس من القيم القرآنية.

٥. إنّ القراءة والتلاوة والترتيل تندرج ضمن نطاق دلاليّ واحد يرتبط بفعل الأداء القرآنيّ، إلّا أنّ كلّ واحد منها يحمل خصوصيّة دلالية تميزه عن الآخر، وهذا ما يؤكّد التكامل الوظيفيّ في الاستعمال القرآنيّ.

٦. كشفت الدراسة أنّ القراءة وسيلة التعلّم الأولى، وأنّ معنى القراءة لا يقتصر على مجرّد النطق بالكلمات، بل ينطوي على معنى الجمع والضمّ الذي يدل على بُعد

إدراكيّ يتّصل بالفعل العقليّ المصاحب لعمليّة القراءة، وهذا الإدراك يمنح القراءة عمقًا معرفيًّا يتعدّى حدود الأداء الصوتيّ.

٧. بيّنت الدراسة أنّ التلاوة عبادة تتّصل بالاتّباع العمليّ، وهذا يكسب التلاوة بُعداً حركيًّا زمنيًّا يتّصل بالاستمرار والاقتداء والعمل والتفكّر والتدبّر، ممّا يجعل فعل التلاوة يحمل معنى الالتزام العمليّ بما يُتلى من الآيات الكريمة.

٨. أوضحت هذه الدراسة أنّ الترتيل منهج أكّد عليه القرآن لتحقيق الفهم والخشوع، وهذا يعكس عناية الخطاب القرآنيّ بضبط الكيفيّة الصوتيّة للقراءة والتلاوة، بحيث يصبح الأداء جزءًا من المقصد التعبديّ.

٩. من خلال استقراء الآيات القرآنيّة للقراءة والتلاوة والترتيل يتبيّن أنّ السياق هو العمل الأساسيّ الذي يبيّن أو يوضّح الفروق الدقيقة بين المفاهيم الثلاثة، ممّا يبرّز عناية النصّ القرآنيّ بدقّة الانتقاء اللفظيّ واختلافه مع المقصود العام.

١٠. إنّ اجتماع هذه الألفاظ في الآيات القرآنية لا يعني أنّها تدلّ على معنى واحد، بل يكشف عن تنوّع في أبعاد التفاعل مع القرآن الكريم؛ وذلك بعد الحفاظ على الإدراك، وبعد الارتباط باتباع العمليّ، وثالث يعتمد بكيفية الأداء وتنظيمه.

١١. أوضحت الدراسة أنّ قراءة القرآن هي عبادة تتوقّف على صفة تلقّيها من النبيّ –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بالسند المتواتر، فكما أنّ صفة الصلاة توقيفيّة، فكذلك

صفة القراءة توقيفيّة أيضًا، لا فرق بينهما، فكلاهما عبادة يتّصل سندها إلى رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم–.

١٣. إنّ التفريق بين القراءة والتلاوة والترتيل يتجاوز حدود التدريب اللفظيّ، ليعدّ مدخلًا لفهم النصّ القرآنيّ وطبيعة التعامل مع الوحي، كما وإنّ استحضار الفروق الدقيقة يسهم في القراءة التفسيريّة الضروريّة الأكثر اتّساقًا مع خصوصيّة الخطاب القرآنيّ.

التوصيات:

١. الدعوة إلى تعميق البحث في الدلالات النفسيّة والاجتماعيّة لمفاهيم الترتيل والتلاوة، وقياس أثرها الميدانيّ في سلوك الأفراد واستقرار المجتمعات.

٢. التشديد على أنّ تعليم القرآن الكريم وتحفيظه لا ينبغي أن يقتصر على الحفظ اللفظي وحده، بل لا بدّ أن يقترن بإدراك دلالاته ومعانيه، حتّى يُثمر هذا التعليم وعيًا بالمرتكزات العقديّة والقيم التربويّة والأحكام التشريعيّة التي تتضمّنها طرائق تلقي القرآن وفهمه.

٣. دعوة المعنييّن من الأساتذة والخطباء إلى استثمار هذه الدلالات في محاضراتهم وتوجيهاتهم، مما يرسّخ الوعي بأنّ الارتباط بكتاب الله تعالى القرآن الكريم ليس ممارسة دينيّة مؤقّتة، بل هو مسار حياة متكامل.

٤. التشجيع والدعوة إلى إعداد برامج ومناهج تعليميّة وإعلاميّة تتّصف بالسلاسة والوضوح دون إي تعقيد، لتُوضّح هذه المعاني لعامّة الناس وتقربّها لهم، وتسلّط الضوء على عمق المنهج القرآنيّ وقابليّته على الإسهام في بناء الشخصيّة الإسلاميّة على أسس راسخة.

وفي الختام أقول: إنّ هذا الجهد ، نقدّمه بين يدي الله تعالى ثمّ بين يدي أهل العلم والفضل، نسأل الله القبول، ومقرّين بأنّ الكمال لله وحده، فما كان من صواب فمن توفيق الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمن أنفسنا ، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي عن أصحابه المنتجبين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:-

- القرآن الكريم
- أبجد العلوم: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧ هـ)، (بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، عدد الصفحات: ٧٣٤.
- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية, ط ١، ١٤١١ هـ).
- أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، مجلدان.
- أصول التربية الإسلامية: سعيد إسماعيل علي (معاصر)، (القاهرة: دار القاهرة للكتاب، ط ١).
- أصول الفكر التربوي في الإسلام: عباس محجوب (معاصر)، (دمشق: دار ابن كثير، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- اعتقادات الإمامية: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي – الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م
- الأعلام: خير الدين محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م).
- الأمثل في تفسير كتاب الله: آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١)، ٢٠ مجلداً.
- الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء: محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي (معاصر)، (النجف الأشرف: مطبعة الأدب)، ٣ أجزاء.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨ هـ).
- أوثق وسائل في شرح الرسائل: الميرزا موسى التبريزي (ت ١٣٠٧ هـ)، (النجف الأشرف: مكتبة النجف، ط ١، ١٣٩٦ هـ).
- بحار الأنوار لجامعة درر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١١ هـ)، (بيروت: مؤسسة الوفاء).

- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ).
- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، بعناية: صدقي محمد جميل العطار، وزهير جعيد، وعرفان العشا حسونة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ١١ جزءاً.
- البرهان في تفسير القرآن: العلامة المحدث السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢).
- البيان في تفسير القرآن: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، (قم: مطبعة نينوى، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ط ٤، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م).
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: جماعة من المختصين، (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دار الهداية، ١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ / ١٩٦٥ - ٢٠٠١ م)، ٤٠ جزءاً.

- التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤٣٠ هـ).
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م)، ٣٠ جزءاً.
- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، عدد الصفحات: ٢٦٢.
- التفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله التُستري (ت ٢٨٣ هـ)، [جمع أبي بكر محمد بن أحمد البلدي]، حواشي: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، عدد الصفحات: ٢٣٩.
- التفسير الصافي: محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، (قم/طهران: مؤسسة الهادي ومكتبة الصدر، ط ٢، ١٤١٦ هـ).

- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، ٨ أجزاء.
- تفسير القرآن الكريم: السيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ)، (الكويت: شركة مكتبة الألفين، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).
- تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٠٧ هـ)، إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني، (قم المقدسة: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، ١٤٣٥ هـ)، ٣ أجزاء.
- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي (ت ١٠٤ هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م)، عدد الصفحات: ٧٦٢.
- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠ هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٣ هـ).
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: يُنسب لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨ هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب

الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، (بيروت: دار الكتب العلمية)، عدد الصفحات: ٥٢٢.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، ٢٦ جزءاً.
- جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسني الإيجي الشافعي (ت ٩٠٥ هـ)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م)، ٤ أجزاء.
- الجامع الصحيح (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار النشر: دار طوق النجاة (مصورة عن الطبعة الأميرية ببولاق)، سنة النشر: ١٤٢٢ هـ.

- الجامع الصحيح (صحيح مسلم): أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد ذهني أفندي، وإسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي، وأحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري، ومحمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي، وأبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، (تركيا: دار الطباعة العامرة، ١٣٣٤ هـ)، صوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٣٣ هـ)، ٨ أجزاء.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلدات.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٧ م)، ٣ أجزاء.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨ هـ)

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، (بيروت: دار الفكر)، ٨ أجزاء.
- الدعوات (سلوة الحزين): قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله الراوندي الكاشاني (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني، (قم: مدرسة الإمام المهدي عج، ط ١، ١٣٦٦ هـ).
- دلالة اقتران ووجه الاحتجاج بها عند الأصوليين: أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري (معاصر)، مراجعة: سامي بن العربي الأثري ووحيد بن عبد السلام بالي، (دار النشر والتوزيع الإسلامية، ط ١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م).
- دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس (ت ١٣٩٧ هـ)، (القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية، ط ٥، ١٩٨٤ م).
- رسالة في تجويد القرآن: الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ)، (تعداد المجلدات: ١، عدد الصفحات: ٨٠).
- زبدة التفاسير: فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني (ت ٩٩٨ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ٧ أجزاء.
- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤ هـ)، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ١٠ أجزاء.

- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م)، ٥ أجزاء.
- صفحات في علوم القراءات: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي (معاصر)، (المكتبة الإمدادية، ط ١، ١٤١٥ هـ)، جزء واحد.
- العقائد الإسلامية: آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، (قم المقدسة: طبعة الإمام علي عليه السلام، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).
- علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٤ هـ)، (قم: مؤسسة الهادي، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، ط ٣، ١٤١٧ هـ).
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (مؤسسة دار الهجرة، ط ٢، ١٤١٠ هـ)، ٨ أجزاء.
- غريب القرآن: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان محمد، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط ١، ١٤١١ هـ).

- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب: أبو بكر العزيز محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، (سوريا: دار قتيبة، ط ١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م)، عدد الصفحات: ٥٤٠.
- فقه الاستنباط – دراسات في مبادئ علم الأصول: آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (معاصر)، (طهران: منشورات مجمع الحسين ع، ط ١، ١٤٣٢ هـ).
- الفكر التربوي الإسلامي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق: حسناء ديالمة (معاصرة)، (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٣١ هـ).
- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٦ هـ)، (بيروت – القاهرة: دار الشروق، ط ١٧، ١٤١٢ هـ)، ٦ أجزاء.
- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدمغاني (ت ٤٧٨ هـ)، حققه ورتبه: عبد العزيز سيد الأهل، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٨٣ م).
- الكافي (الجامع الصغير والكبير): الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري ومحمد الآخوندي، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ط ٤، ١٤٠٧ هـ)، ٨ مجلدات.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨ هـ)، تقديم: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، (بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٦ م)، مجلدان.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تصحيح وترتيب: مصطفى حسين أحمد، (القاهرة/بيروت: دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م)، ٤ أجزاء.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، إشراف: د. صلاح عثمان وآخرون، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (جدة: دار التفسير، ط ١، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م).
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، عدد الصفحات: ١٠٨٣.
- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي الخازن (ت ٧٤١ هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ).

- لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١ هـ)، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤ هـ)، ١٥ جزءاً.
- لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥ هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣).
- اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، (عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، ٤ أجزاء.
- المبين: محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ)، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ٢).
- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١ هـ).
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من المحققين، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، ١٠ أجزاء.

- محاسن التأويل (تفسير القاسمي): محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨ هـ).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية): أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ).
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠ هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو (ت ١٤٤٢ هـ)، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)، ٣ أجزاء.
- الجامع الصحيح (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية ببولاق، ١٤٢٢ هـ).
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: المحدث الشيخ حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (بيروت: ط ٣، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م).

- معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٠ هـ)، ٥ أجزاء.
- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م)، ٥ أجزاء.
- معاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٠ م).
- المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤ هـ)، (القاهرة: دار الفكر العربي).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ)، (القاهرة: دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، ١٣٦٤ هـ).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، (بيروت: المكتبة العلمية)، جزآن.

- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠ هـ).
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق/بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٢ هـ)، عدد الصفحات: ٩٠١.
- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الخالق عضيمة، (جمهورية مصر العربية: وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية).
- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م)، ٦ أجزاء.
- المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت ١٤٣٦ هـ)، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٤١٨ هـ)، ٣٠ جزءاً.
- ميزان الحكمة: محمد محمدي الريشهري (ت ١٤٤٣ هـ)، (مركز تحقيقات دار الحديث، ١٤٢٣ هـ)، المجلد الأول.

- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ)، (قم المقدسة: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، دار الفكر)
- نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).
- النص والإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان: منيب الطحان (معاصر)، (دمشق: دار سعد الدين، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
- النكت والعيون (تفسير الماوردي): أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٦ أجزاء.
- النهج البلاغي وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي (ت ١٣٥٦ هـ)، (بيروت: دار الكتاب العربي).
- الهادي فيما يحتاجه التفسير من مبادي: الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ).
- الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب الآغا ومحيي الدين ديب مستو (معاصران)، (دمشق: دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية، ط ٢، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).

- وجوه القرآن الكريم: إسماعيل بن أحمد النيسابوري الحيري (ت ٤٣٠ هـ)، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، (دار السقا للطباعة والنشر، ط ١).
- الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز: د. محمد بن سيدي محمد محمد الأمين (معاصر)، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م)، جزء واحد.
- الوجيز لألفاظ القرآن الكريم: د. نبيل عبد السلام هارون (معاصر)، (مصر: دار النشر للجامعات، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق وتصحيح: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٥، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني جميل، الدكتورعبد الرحمن عويس ، قدمه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- البحوث والرسائل:
- أهمية القراءة والمطالعة (مقال): م. د. إكرام نايف محمد، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، جامعة ديالى، ٢٠٢٢ م.
- بلاغة الترتيب بين السور القرآنية عند الطبرسي في تفسير مجمع البيان (بحث): م. د. رياض خلف خزي المرشدي، (جامعة واسط: كلية التربية للعلوم الإنسانية).
- البناء العقدي في السور المكية (بحث): الباحث: حيدر حسن فليح، وأ. د. حيدر تقي فضيل العلاق، (جامعة واسط: كلية التربية للعلوم الإنسانية).
- التفسير العلمي وضوابطه عند المفسرين (بحث): د. ثائر محمود خلف (الجامعة العراقية)، ود. علاء حسين خلف (جامعة واسط: كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة كلية التربية، العدد ٢٣).
- دلالات الفعل الماضي في آيات الصلاة (بحث): أ. د. مجيد طارش عبد الربيعي، والباحث: حيدر حسن عبد القريشي، (جامعة واسط: كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة كلية التربية، العدد ٣٦، الجزء الأول، آب ٢٠١٩ م).
- زوائد ابن الجوزي على مقاتل في الوجوه والنظائر (رسالة ماجستير): إعداد: فهد بن إبراهيم بن عبد الله الضالع، إشراف: بدر بن ناصر البدر، (جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية: كلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه، العام الجامعي ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م)، عدد الصفحات: ٩٧٩.

- مِن صِفات الباحث إلى شُروط المُفسِّر (بحث): أ. د. عِماد جبَار كاظم داود، (جامعة واسط: كلية التربية للعلوم الإنسانية).
- من الأعمال الصالحة – الصلاة (بحث): الباحثة: إيمان سرحان فارس، وأ. د. بركاوي جليب القريشي، (جامعة واسط: كلية التربية للعلوم الإنسانية).

Abstract

This thesis examines the Quranic verses related to reading (**Qira'ah**), recitation (**Tilawah**), and chanting/measured recitation (**Tartil**). The study seeks to reveal the theological, educational, and legislative significances embedded within these verses, moving beyond the superficial pronunciation of words toward a profound understanding of the Muslim's relationship with the Quran and its impact on their thoughts, behaviors, and actions. This is achieved by defining the semantic implications of these terms within their specific Quranic contexts, analyzing their usage, and deducing their doctrinal and practical contents. Consequently, the study contributes to deepening Quranic understanding and enriching semantic-oriented Quranic studies, while clarifying the semantic distinctions between these concepts and their related Sharia objectives.

The research adopts an **inductive-analytical approach**, utilizing textual analysis to explore the meanings of these verses and terms. It gathers all verses mentioning reading, recitation, and *tartil*, analyzing their textual and thematic contexts and linking them to theological, educational, and legislative dimensions.

The research is organized into three chapters:

Chapter One: Addresses the theological (doctrinal) significance of these verses.

Chapter Two: Reviews the associated educational implications.

Chapter Three: Focuses on the legislative dimension and its impact on building the individual and society.

The study concludes that these verses are not identical in meaning; rather, each carries a distinct significance that reflects the relationship between the linguistic root and the theological, educational, or legislative contexts. Furthermore, the study

demonstrates that perceiving these concepts enhances an individual's awareness of their conduct and worship, strengthening social bonds. This elevates the reading of the Holy Quran from mere verbal recitation to a conscious engagement with the text, internalizing its objectives and applying them in daily life.

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Wasit College of
Education
Quran Studies

Verses of reading, recitation, and chanting in the Holy Quran: A semantic study

A thesis by

WIDAD MAHMOOD HUSSIN

To The Council of the College of Education\ Wasit University in partial fulfillment of the Reguirements for the Degree of Master of Arts in Qur'anic Sciences and Islamic Education\Qur'anic studies

Supervised by

Professor Dr.Majeed Tarish Al.Rubai'e

1447 A.C

2026 A.H